

٢٠٠١

كلية دار الكلمة

إنَّ العمل في الكلية مستمرٌّ في موقعين: موقع جبل مرير وموقع ساحة المديسة:

أولاً: موقع مرير: مدرسة دار الكلمة التّمودجيّة

(١) مقدّمة

إنَّ موقع مدرسة دار الكلمة التّمودجيّة المبنية على جبل مرير اشتراه أول راع لكنيسة الميلاذ اللوثرية المرسل الألماني Samuel Mueller سنة ١٨٦٨ وتمّ تسجيل الموقع على اسمه، وظلّ الموقع تحت إدارة كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية إلى أن صادره الانتداب البريطاني سنة ١٩١٩. وفي سنة ١٩٥٢ تمّ تسجيل الموقع على اسم وزارة مالية المملكة الأردنية الهاشمية، وقد نقل مستشفى الأمراض العقلية إلى العمارة الجميلة جدّاً المقامة عليه والتي كانت تعرف باسم (Armenische Waisenhaus) أي «الميتم الأرمني» الذي تمّ الاحتفال بافتتاحه سنة ١٨٩٨ أثناء زيارة القيصر الألمانيّ إلى فلسطين. وبعد ذلك، وفي السبعينيات والثمانينيات تمّ بناء عمارة المحكمة والسوق المركزي والإطفائية وبنيات عامّة أخرى على أرضه.

ومع وصول السلطة الوطنية الفلسطينية، وبدعم من وزارة الخارجية الألمانية بالإضافة إلى الجهود التي بذلتها أصدر الرئيس ياسر عرفات مرسوما بتخصيص جزء من الجبل ليتمّ استعماله في بناء ادار الكلمة عليه. وكان عمل الرئيس عرفات هذا انطلاقا من إيمانه أنّ هذه المؤسسة الفلسطينية ستكون نواة

لكلية نموذجية تركّز على الفنّ والموسيقا والاتّصالات والدّراسات الثقافية. وفي السادس من شهر كانون ثاني ١٩٩٨، وضع كل من الرئيس عرفات والمطران منيب يونان، مطران الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في فلسطين والأردن حجر الأساس لأكاديمية دار الكلمة بحضور المطران كريستيان كراوس رئيس الأتحاد اللوثرية العالمي وحشد كبير من قادة الكنيسة اللوثرية من أكثر من عشرين دولة.

وتهدف مدرسة دار الكلمة التّمودجيّة، وهي الأولى من نوعها، أن تقدّم نظاما تربويًا جديدًا ومبتكرًا يطور الفرد بشكل كامل، وبهذا يكون هدف المدرسة التّمودجيّة الشّامل هو المساعدة في تحسين مستقبل أطفال فلسطين عن طريق تطوير فكرهم ومخاطبة احتياجاتهم الرّوحية. إنَّ مدرسة دار الكلمة التّمودجيّة تبني على تقليد طويل في التربية أرسته المدرسة اللوثرية في بيت لحم. وهذا تاريخ عمره ١٥٠ سنة تقريبا ممّا يجعل المدرسة اللوثرية في بيت لحم واحدة من أقدم المدارس اللوثرية في المنطقة. ومن خلال البرامج المبتكرة



التي ستعتمدها؛ تحضر مدرسة دار الكلمة التّمودجيّة طلابها لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين. وتقدّم المدرسة التّمودجيّة لطلابها مرافق حديثة واسعة ترقى إلى المعايير الدوليّة. فالمدرسة بنهجها الشّموليّ في التّعليم تقدّم لطلابها تعليماً أكاديمياً ممتازاً وتدريباً مهنيّاً، إضافة إلى حزمة من النشاطات اللاصفيّة مثل الموسيقى والفنّ والرياضة وتكنولوجيا الاتّصالات.

(٢) التّحدّيات

كانت هناك عدّة تحديات واجهها تأسيس مدرسة دار الكلمة التّمودجيّة منذ البداية؛ لمحدوديّة الوقت وقلق الأهل والتمويل كانت كلّها قضايا علينا أن نتعامل معها ونحاول أن نتغلّب عليها.

(أ) محدوديّة الوقت

بدأ بناء المدرسة التّمودجيّة مباشرة بعد أن وضع وزير التّربية التّرويحي حجر الأساس في جبل مرير في ٢٨ تشرين ثاني ١٩٩٩. وكان علينا أن ننهى القسم الأوّل من المرحلة الأولى بأسرع ما يمكن نظراً للموقع المكتظّ حيث كان أولادنا، والحاجة إلى مساحة أكبر لتنفيذ رؤيتنا بشكل فعّال. وهذا كان يعني بناء عمارة مساحتها ٤٠٠٠ متر مربع؛ لكي نبدأ السّنة الدّراسيّة ٢٠٠٠/٢٠٠١ في المبنى الجديد. وبالرّغم من الجدول الزّمنيّ الضّيق، تمّ إنهاء المرحلة الأولى من المدرسة التّمودجيّة في تسعة أشهر، وهو وقت قياسي، ممّا سمح لها أن تفتح أبوابها في ٣ أيلول سنة ٢٠٠٠ لاستقبال ٢٣٧ طالباً و ٢١ معلماً بدوام كامل وسبعة معلمين بدوام جزئيّ.

(ب) قلق الأهل ومخاوفهم

كان خوف الأهالي وقلقهم أحد أكبر تحديات دار الكلمة. وباديء ذي بدء كنّا بحاجة أن نبرّ بالوعود التي قطعناها للأهالي في السّنة الماضيّة؛ أن ننقل إلى المدرسة الجديدة حتّى يكون للأطفال مساحة كافية للدّراسة واللّعب، وكان

علينا أيضاً التّعامل مع مخاوف الأهالي بخصوص مستقبل أولادهم وإذا ما كانت التّغييرات في المنهاج التي اقترحتها المدرسة التّمودجيّة ستعطي أولادهم الوسائل الصّحيحة للنّجاح في المستقبل. إنّ مفهوم التّعليم الشّموليّ والذي يتمّ فيه إدخال الطّلاب إلى التّعلم القائم على الذات يُمكنهم من استكشاف إبداعاتهم وإمكاناتهم ومواهبهم وقدراتهم واهتماماتهم كان شيئاً جديداً على الأهالي والذين كان عليهم هم أنفسهم أن يخضعوا لعملية تعليميّة حتّى يصبحوا مؤيدين وليس معيقين لطريقة الأكاديميّة للتّطوير.

(ج) التّمويل

إنّ أمامنا قسمًا من التّمويل للبناء من متبرّعين أمريكيّين ونرويجيّين وسويسريّين. ولكن لإنهاء جميع مراحل الأكاديميّة تبقى أقسام كثيرة ليس لها تمويل. وفي الواقع كانت تكاليف بناء القسم الأوّل من المرحلة الأولى ٢,٢ مليون دولار، لا يزال مليون منها ديناً للمتعهّد، ولهذا فإنّنا نسعى للحصول على قرض بفائدة ميسّرة بقيمة مليون دولار لوفاء التزاماتنا للمتعهّد وتجنّب دفع فوائد كبيرة.

(٣) الإنجازات

منذ البدء في عمليّة البناء تمّ إنجاز ما يلي لغاية الآن:

- (١) ثلاث غرف رياض أطفال (تشغل الإدارة قسماً منها إلى أن يتمّ توفير الأموال لبناء هذه المرافق).
- (٢) غرف الصّفوف من الصّف الأوّل حتّى الصّف العاشر.
- (٣) قسم من المدرّج والملعب.
- (٤) الطّريق المؤدّي إلى المدرسة (قسم منها).
- (٥) قاعة الاجتماعات (بدون أثاث).
- (٦) مسرح المدرّج (المسرح الألفي تبرّعت به سلطة مشروع بيت لحم ٢٠٠٠).

٤) العمل المتبقي

لا يزال هناك الكثير من العمل لكي ينجز، ولدينا التمويل اللازم لقسم منه بينما لا زلنا نبحث عن تمويل للقسم الآخر.

أ) مركز الصحة المجتمعية

إن مركز الصحة المجتمعية هو مشروع لمدة ثلاث سنوات وسينفذ على مرحلتين. وستشتمل المرحلة الأولى على تنفيذ بنية تحتية جديدة في حين أن المرحلة الثانية ستشتمل على توظيف أشخاص وبرامج التطوير. ونأمل أن تنتهي المرحلة الأولى مع حلول شهر آب ٢٠٠٢. وسينسق مركز الصحة المجتمعية وبركة السباحة النشاط لكي يعطوا أعظم فائدة للأطفال والمجتمع. إن هذا المركز الذي قدم له كل من السيد Greg Smith و The Wheat Ridge Foundation تمويلًا سخياً سيحتاج إلى تمويل أكثر لإنهائه. ولا زلنا نبحث عن شركاء للأقسام التي لم تكتمل من المشروع بالتعاون مع The Wheat Ridge Foundation.

ب) المساحات الخضراء والأسوار المحيطة

كان الجبل الذي بنيت عليه دار الكلمة في الماضي قسماً من مساحة حرجية جردت من أشجارها وبقي ٩٠ شجرة فقط على قمة الجبل. وفي محاولة لخلق بيئة طبيعية تفيد المنطقة من ناحية بيئية ولتكون أداة تربوية مهمة للطلاب والمجتمع بما يتعلق بضرورة الحفاظ على البيئة الطبيعية، ستتكفل كلية دار الكلمة بمهمة إعادة زراعة الجبل بنباتات تناسب المنطقة وكذلك بناء أسوار واقية لحماية المنطقة والبناء المقام هناك. والوقت المتوقع لإكمال ثلثي هذه المهمة هو شهر آب سنة ٢٠٠٢. والمبلغ المطلوب للقيام بذلك هو ٣٠٠,٠٠٠ دولار، ولا زلنا نبحث عن متبرعين لهذا الجزء من دار الكلمة.

ج) المختبرات والمدرسة الثانوية (ستة صفوف) والإدارة وموقف السيارات

لكي تكتمل المدرسة النموذجية ولجعلها مدرسة ثانوية هناك حاجة لبناء ست غرف صفية وأربعة مختبرات ومكاتب الإدارة وموقف السيارات. وإذا كنا سننهي في الموعد المحدد والذي هو شهر آب ٢٠٠٣، علينا أن نجمع مبلغ ١,٢ مليون دولار. إن إنهاء هذا القسم من دار الكلمة مهم جداً للنمو المستقبلي للأكاديمية ككل، وذلك لثلاثة عوامل:

- إن توسيع المدرسة النموذجية لتصبح مدرسة ثانوية سيزيد من الدخل المحلي لأنها ستجذب طلاباً أكثر إلى المدرسة بشكل عام. ومع أنه سيتم توظيف معلمين أكثر نتيجة لذلك، إلا أن العدد الذي سيتم توظيفه لن يعادل المنافع المادية التي ستكتسب.
- إن الرسوم العالية نسبياً التي نستوفيها من الطلاب، إذا ما قورنت بالمدارس الأخرى، تعني أن علينا أن نقدم خدمات ضرورية وخاصة. ومن بين الخدمات الضرورية المختبرات.
- بدون فتح المدرسة الثانوية سيتردد الكثير من الأهالي في تسجيل أبنائهم في دار الكلمة خوفاً من أنهم لن يتمكنوا في المستقبل من إيجاد أماكن لهم في المدارس الثانوية الأخرى عند إنهائهم الصف العاشر، وذلك يهدد مستقبلهم.

المتبرعين والشركاء

إن ما تم إنجازه لغاية الآن بخصوص المدرسة النموذجية لم يكن ممكناً بدون مساعدة وكرم شركائنا وأصدقائنا.

وعود لم تُنفذ

١) الحكومة النرويجية: لقد وعدت الحكومة النرويجية أن تبني قاعة الرياضة والمساحات الخارجية بكلفة ٥٠٠,٠٠٠ دولار، لكن التغيير في الحكومة

الترويجية وضع إدارة جديدة غير راغبة في تقديم هذه الأموال.

(٢) (المانيا) **AG KED**: كان هناك رغبة لدى **AG KED** أن تُساهم بمبلغ ٢٢٠,٠٠٠ دولار أمريكي لمدرسة دار الكلمة النموذجية (للقسم الأول) ولكن هذا الاهتمام لم يتحقق بعد.

(٣) **الرؤيا العالمية**: لقد وعدت الرؤيا العالمية بمبلغ ٩٠,٠٠٠ دولار لمدة سنتين، لكنها أعطت في السنة الأولى ١٧,٠٠٠ دولار فقط والذي استعمل في حينه للميزانية العامة للكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن وفلسطين.

خطوات ملحة يجب القيام بها

(١) تأمين قرض طويل الأمد بفائدة ميسرة بقيمة مليون دولار أمريكي حتى نقل من قيمة الفائدة المدفوعة.

(٢) بناء الشور المحيط وخلق مساحة خضراء لمنع التخريب ولتحسين البيئة ولاستعمال المساحة لأغراض تربية وصحية.

(٣) بناء المدرسة الثانوية والتي تكلفتها ١,٢ مليون دولار أمريكي والذي سيحسن الصورة التربوية للمدرسة ويشجع أهالي أكثر أن يسجلوا أبناءهم في المدرسة وكذلك زيادة الدخل المحلي.

ثانياً: موقع المدرسة

(أ) مسرح وقاعة مؤتمرات الدار (المشروع الفنلندي)

(١) مقدمة

بدأ بناء مركز المؤتمرات في شهر أيلول سنة ١٩٩٩ وكان مخططاً له في الأصل أن ينتهي في أيار سنة ٢٠٠٠. وهو عبارة عن قاعة متعددة الأغراض، ويتسع مركز المؤتمرات لـ ٥٠٠ شخص مع مسرح مرتفع وفيه غرفتان للترجمة

الفورية للغة واحدة أو لغتين، وغرفة التحكم للمرافق السمع بصرية، بما في ذلك السينما، غرف للتخزين، غرف تبديل الملابس والحمامات للممثلين. وسيكون مركز مؤتمرات هذا المكان الوحيد من نوعه في فلسطين لحياة ثقافية غنية في بيت لحم وسيستعمل لاستضافة النشاطات التالية:

(١) **المؤتمرات**: بما في ذلك المؤتمرات المحلية والعالمية، مؤتمرات الشبيبة الوطنية والعالمية، الحوار بين الثقافات المحلي والعالمي، حلقات النقاش، ومحاضرات، ندوات دولية لغاية أربع ندوات في السنة سوف تعقد في قاعة المحاضرات. وسيكون المشاركون في هذه الحلقات التي مدتها كل منها ٤-٦ أسابيع طلاباً ومنتقنين فلسطينيين وأجانب.

(٢) **العروض الفنية**: بما في ذلك الرقص الشعبي، عروض مسرحية، عرض أفلام، معارض فنية محلية وأجنبية وعروض موسيقية وجوقات ترتيل محلية وأجنبية.

(٣) **برامج تربية ومجتمعية**: بما في ذلك برامج عن قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني ومجموعة من المواضيع ذات الصلة. ومن خلال استعمال معدات البث ستنتشر للبرامج التربوية والمجتمعية إلى المجتمع الفلسطيني الأوسع.

(٢) الإنجازات والتحديات

دأبت وزارة الخارجية الفنلندية على دعم تصميم وبناء مركز مؤتمرات دار الكلمة في بيت لحم منذ ١٩٩٨. وأثناء بناء هيكل البناية والذي بلغت كلفته ٠,٩ مليون دولار أمريكي، واجهنا مشاكل مع المتعهد المحلي وأنهينا التعاقد معه في أيار سنة ٢٠٠٠، وتجري حالياً مفاوضات مع متعهد آخر لإكمال البناء الذي تبلغ كلفته ١,٦ مليون دولار أمريكي، ويمكن البدء بالعمل قريباً إذا سمح الوضع السياسي بالسير بالعمل بشكل عادي. والكلفة الإجمالية لإكمال مركز

المؤتمرات مع قسم من الأثاث، باستثناء المعدات، ٤,٥ مليون دولار أمريكي. وقد وافقت وزارة الخارجية الفنلندية على المبلغ المذكور آنفاً، ونأمل أن نفتح مركز المؤتمرات في أوائل السنة القادمة.

(ب) مركز الحرف والفنون

(١) مقدّمة

يتكوّن مركز الحرف والفنون من ثلاث وحدات تتضمّن المشاغل والمعروض ودكان الهدايا. مشاغل الفنون مجهزة بشكل جيّد للحرف المحليّة، وبخاصّة تلك التي في طريقها إلى الانقراض. وتشمل هذه الحرف على السيراميك والدهان والفخار والجبس والزجاج الملون ونفخ الزجاج والمجوهرات والفسيفساء. وتقدّم المشاغل التدريب اللازم والمساقات للفنانين المحليين وبخاصّة إلى أولئك العاطلين عن العمل، ومن خلال تأكيدها على خلق بيئة عمل صحيّة، تقوم المشاغل بتوفير نموذج يحتذى به الآخرون. ودكان الهدايا هو المكان الذي يستطيع الفنانون والموسيقيون الفلسطينيون أن يُسوّقوا منتوجاتهم. أمّا بالنسبة لمعرض الفنّ، فقد استقبل أعمال الفنانين المحليين والأجانب طيلة سنة ٢٠٠٠. ويشجّع المعرض الفنانين على التعبير عن أنفسهم وأن يشاركوا فنونهم مع المجتمع. ويساعد المعرض أيضاً على إحياء إحساس المجتمع المحليّ بالفنّ والجمال. وقد قامت الكنيسة السويدية بتمويل بناء قسم من المرافق المذكورة آنفاً وترميمها بشكل كامل.

(٢) الإنجازات

(أ) لقد اكتمل ترميم مشاغل المجوهرات في مبنى الإدارة في شهر تشرين ثاني سنة ٢٠٠٠. والعمل المتبقي هو تجهيزات الإضاءة والمرّ الموصل من قاعات المعرض إلى المشروع الفنلنديّ (مركز المؤتمرات).

(ب) منذ افتتاح مشاغل الفنّ تمّ عقد عدّة مساقات تدريبية ومعارض ناجحة. وللحصول على قائمة كاملة عن هذه المعارض انظر الوثيقة المرفقة.

(٣) مبنى الإدارة

لقد اكتمل ترميم مبنى الإدارة في شهر شباط سنة ٢٠٠٠. وقد موّلت وزارة الاقتصاد الألمانيّة قسماً من تأثيث العمارة.

(٤) هيكلية الكلية

إنّنا نعمل الآن على تأسيس مجالس إدارة الكلية المحليّة والأجنبيّة، وكذلك الطاقم الإداري المطلوب ضمن إعادة الهيكليّة الحالية الجارية داخل الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردنّ وفلسطين.

وأخيراً، بالنظر إلى جميع ما قد تمّ إنجازه في السنة الماضية، فإنّنا نشكر الله الذي أعطانا الرّؤية والإرادة والإيمان والأصدقاء الكثيرين والشركاء والرّملاء والمهارات الإدارية للبدء بأكاديمية دار الكلمة. ونحن واثقون أنّ (من بدأ عملاً جيّداً سوف يكمله حتى النهاية).

٢٠٠٢

٢ نيسان ٢٠٠٢

في الساعة السادسة والنّصف صباحاً اجتاحت الدبابات الإسرائيليّة مدينة بيت لحم، وتمركزت على جانبي كنيسة الميلاذ اللوثرية، ولمدّة ثلاث عشرة ساعة، تخلّلتها بعض التوقف، نشب القتال في مدينة بيت لحم أمام كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية ودار الندوة الدّوليّة في بيت لحم. وفي هذا اليوم ذاته تمركز الجنود الإسرائيليون داخل مَبْنانا واستخدموا أملاك الكنيسة ليطلقوا منها النّار

على المسلّحين في الشوارع. وقد أطلق الإسرائيليون ما مجموعه ٤٢٧ طلقة من المبنى التابع لنا. وفي الساعة ١١:٠٠ من نفس الصباح استعمل الإسرائيليون ردهة مركزنا كمركز اعتقال (سجن) لسبعة عشر شاباً غير مسلّحين، أطلق سراح نصفهم وأرسل التّصفّ الآخر إلى مستوطنة كفار عصيون لمزيد من التّحقيق. واستعملت غرفة الحارس التي على مدخل المركز كمقرّ لقيادة الجيش الإسرائيلي في هذه المنطقة لمُدّة يومين متواليين.

٤ نيسان ٢٠٠٢

بعد ظهر هذا اليوم اقتحمت المجمع ثلاث وحدات إسرائيلية (حوالي ٤٥ شخصا) واقتحموا جميع الغرف والمكاتب والمخازن ودمروا العشرات من الأبواب الداخليّة والحواشيب وآلة التصوير والثلاجات والكراسي والمكاتب وبعض التّجهيزات الجديدة التي لم يتمّ تركيبها بعد واللّوحات. وسكبوا الدهان الأبيض الذي اشتريناه لدهان مرافق الدّار على الأرض، وأطلقوا النّار على بلاط السيراميك الجديد في المطبخ. وكانت كلّ هذه الأعمال لمجرّد التخريب، ويمكن الحصول على قائمة بجميع ما تمّ تخريبه عند الطّلب. وقد احتجزتني الوحدة الثّانية في مكّتي لمُدّة أكثر من ساعتين حيث لم أتمكّن خلالهما من الاتّصال بأحد أو أن يتمكّن أحد من الاتّصال بي. ويوجد تقرير مُفصّل عن ذلك أيضاً.

٦ نيسان ٢٠٠٢

في الصّباح الباكر من هذا اليوم دمر الإسرائيليون وحدة الاتّصالات المركزيّة في مدينة بيت لحم القديمة وكذلك مقرّ رئاسة شركة الاتّصالات الفلسطينيّة في نابلس. ومنذ ذلك اليوم تعطلت جميع خطوط الهاتف والفاكس والبريد الإلكترونيّ وفقدنا الاتّصال مع العالم باستثناء الهاتف المحمول.

٢٤ نيسان ٢٠٠٢

دمّرت الدّبابات الإسرائيليّة قسماً من السّور المحيط بكنيستنا وبيت الرّاعي والذي يزيد عمره على ١١١ سنة، وكذلك ساحة المدبسة أمام الكنيسة، وهي مشروع مَوْلته مدينة كولون، وقد دُمّر جزء آخر من السّور في ٣٠ نيسان. وقد ألحق بالمجمع اللّوثرّي خلال هذه الأيّام الأضرار الثّالية: ويمكن الحصول على تقدير للخراب حسب معايير البنك الدّوليّ عند الطّلب:

(١) أصابت قذائف الدّبابات دكّان الكهف للهدايا ودمّرت جميع الواجهة السفليّة للمبنى والتي مَوْلتها كنيسة السويد، والوكالة السّويدية للتّطوير الدّوليّ (سيدا)، وكان قد تمّ افتتاحه في ٩ كانون أوّل ١٩٩٩. وتحتاج الواجهة إلى إصلاح كبير وإيجاد حلول هيكلية لها. وكانت نتيجة قذيفة ثانية حفرة عميقة يبلغ قطرها نصف متر في زاوية مشغل الرّجاج، وقد



- دمرت القذيفة تدميرا تاماً الكثير من القطع الفنيّة المصنوعة يدوياً ومعدّات الإضاءة والأبواب الحديدية وشبابيك العرض.
- (٢) دمرت شقّة المساعدين الأجانب تدميرا جزئياً: الشبابيك وخزانات المياه والبوابة الرئيسيّة والدّرج والواجهة.
- (٣) مبنى المكاتب، وهو الأقدم في مجمعنا، ويرجع تاريخه إلى سنة ١٨٦١ لحقه تدمير جزئيّ شمل البوابة الرئيسيّة التي جرفتها إحدى الدّبابات الإسرائيليّة. وقد دمرت الطّلاقات الناريّة الكثير من الأقواس الحجريّة ومعظم الشبابيك.
- (٤) لحقت بنبزل أبو جبران بعض الأضرار بما في ذلك الشبابيك والأبواب والجدران الداخليّة، وقد تلقت الواجهة المئات من الطّلاقات الناريّة وهي في وضع سيء للغاية.
- (٥) تضرّر مركز الإعلام والاتّصالات ضررا بالغاً من الخارج والداخل.



- (٦) تضرّر مشغل الفنون والحرف الذي تمّ ترميمه في ١٩٩٩ بمساعدة الكنيسة السويديّة ومؤسسة سيديا ضررا بالغاً من الخارج والداخل. وقد حدثت في السقف حفرة عرضها ٣٠ سم، ودمرت جميع الأباжورات والشبابيك الداخليّة تدميرا كاملاً، والكثير من القطع الفنيّة، وكذلك بعض المعدّات.
- (٧) تعرّض بيت الرّاعي أيضاً للضرر، فقد أصيبت واجهة الدّرج وكراج السيارة والمدخل.
- (٨) سلمت الكنيسة من الاجتياح نشكر الله أنّ الرّجاج الملوّن القديم لم يُصب بأذى إلا بشكل طفيف، ودمر بشكل جزئيّ السور القديم الذي عند مدخل الكنيسة والذي عمره ١١١ سنة.
- (٩) نجا المركز القديم من الاجتياح باستثناء بايّن حديديين في الطابق الأسفل وثلاثة شبابيك وأباжورات ووحدتي كهرباء.
- (١٠) دمر المدخل الرئيسيّ لكلّ المجمع والبوابة تدميرا كاملاً وداستها الدّبابات الإسرائيليّة، أمّا غرفة الحرس فقد فتشت تفتيشاً دقيقاً، وتضرّرت بشكل بسيط.
- (١١) دمر المطبخ الجديد الذي مولته وزارة الخارجية الفنلنديّة، فقد أُطلق الرّصاص على جدار السيراميك الداخليّ دون أيّ سبب.
- (١٢) لحق الدّمار بشبكات المياه والكهرباء وخطوط الهاتف.
- (١٣) كثير من التجهيزات والمعدّات والقطع الفنيّة مفقودة (إمّا سرقت أو دُمّرت).

بعض الحقائق والأرقام عن المجمع اللوثرية ودار التدوّة الدوليّة في بيت لحم

- (١) لم يتمّ إطلاق النّار من مجمعنا، وبالرّغم من ذلك فقد استعمل الجنود الإسرائيليّون المجمع لإطلاق النّار من هناك على المسلّحين في الشّارع.

وقد أطلق الإسرائيليون ما مجموعه ٤٢٧ رصاصة من مجمّعنا، واستعمل الجيش مجمّعنا لاحتجاز ١٧ فردا من جيراننا. وهذا انتهاك سافر لوضع الأملاك الدينيّة التي تحميها من الاعتداء اتّفاقية جنيف الرّابعة والتي تُعتبر إسرائيل إحدى الدّول الموقّعة عليها والتي لا يجب التّساهل معها.

(٢) لقد اجتاحت الجيش الإسرائيليّ مجمّعنا عدّة مرّات دون أيّ سبب، وبدون إذن أو حتّى إعلامي بذلك، وأنا أعيش في المجمع. وعندما وجدت إحدى الوحدات في المجمع قلت لهم: «كان بإمكانكم التّصرّف مثل السّادة المهذّبين. كان بإمكانكم قرع جرس الباب. وكان بإمكانكم أن تطلبوا منّي أن أفتح لكم أيّ باب وكنت سأفتحه لكم. إنّنا ككنيسة ليس لدينا ما نخفيه.» ولكن يبدو أنّ هذا التّصرّف غريب على الكثير من الجنود. وهذه هي بعض أعراض الأزمة الأخلاقيّة التي يعاني منها المجتمع الإسرائيليّ.

(٣) لقد حاول كلّ من الجنود الإسرائيليّين والمسلّحين عدم الاشتباك بالقرب من الكنيسة، ولهذا السّبب نجت الكنيسة من المعركة بالأسلحة. ويبدو أنّه كانت هناك أوامر واضحة جدّا بتجنّب القتال بالقرب من الكنيسة.

(٤) لقد كنّا مشغولين جدّا في السّنوات الخمس الماضية ليلا نهارا في إعادة تأهيل مدينتنا ومجمّعنا، إذ تمّ استثمار أكثر من ٢٠٠ مليون دولار أمريكي في بيت لحم استعدادا للألفيّة. وقد دمّرت الدّبابات الإسرائيليّة والجنود الإسرائيليّون الكثير من هذا الاستثمار في غضون يومين فقط. وسنحتاج إلى سنين عديدة لإعادة بناء مدينة بيت لحم الصّغيرة. ولكن من يضمن لنا أنّ الجيش الإسرائيليّ لن يقتحم مدينتنا ثانية ويدمرها مرّة أخرى. إنّنا بحاجة ملّحة لحلّ سياسيّ وقوّة دوليّة لحفظ السّلام لتأمين مستقبل شعبنا ومدنه.

(٥) دمّرت عدّة مبانٍ تاريخيّة في مدينة بيت لحم القديمة خلال الاجتياح الإسرائيليّ. إنّ الخسارة الثقافيّة هي شيء من الصّعب جدّا تعويضه. وبعد

نابلس تأتي مدينة بيت لحم في المرتبة الثّانية من حيث تدمير إسرائيل لمبانيها التاريخيّة إمّا كليّا أو جزئيّا. إنّ تراثنا الثقافيّ وممتلكاتنا للمستقبل هي على المحكّ.

(٦) لقد استثمر أكثر من ١٠ مليون دولار أمريكيّ من أموال الضّرائب الأوروبيّة والأمريكيّة أو التبرّعات المسيحيّة في مركزنا ومدرستنا في السّنوات العشر الماضية. ونحن بحاجة إلى نصف مليون دولار أمريكي (٥٪ من مجموع الاستثمار) لترميم أو إعادة بناء ما تمّ تدميره في الأسابيع الأربعة الماضية. ويجب أن تعتبر إسرائيل مسؤولة عن الضّرر. وسنحاول كلّ جهدنا في متابعة ذلك قانونيّا والمطالبة بالتّعويض من الجيش الإسرائيليّ. ستكون هذه عمليّة طويلة وصعبة، ومع ذلك فإنّنا نأمل أن نجتمع هذا المبلغ من المتبرّعين والمنظّمات الشريكة والأصدقاء لإعادة بناء مؤسّستنا بأسرع وقت ممكن.

(٧) إنّ دار الندوة الدوليّة في بيت لحم هي إلى حدّ بعيد أكبر مؤسّسة ثقافيّة في منطقة بيت لحم، والكنيسة اللوثرية هنا هي ثاني أكبر مشغل خاصّ. إنّنا نعتقد أنّ الهدف من وراء الاجتياح الإسرائيليّ كان تدمير المراكز الثقافيّة والتعليميّة والمجتمعيّة الرّئيسة في الضّفّة الغربيّة. إنّ ما كتبه أميره هاس في ٢٤ نيسان ٢٠٠٤، وهي مراسلة صحيفة هارتس، وتعيش في رام الله، ينطبق تماما على دار الندوة في بيت لحم. «إنّه مشهد يُعيد نفسه في مئات المكاتب الفلسطينيّة التي استولى عليها جنود جيش الدّفاع الإسرائيليّ لوضع ساعات أو أيّام في الضّفّة الغربيّة: حواسيب محطّمة ومحرّقة ومكسّرة، مكدّسة في أكوام وترمى في السّاحات. كوابل الانترنت مقطّعة، وأقراص صلبة مفقودة، وأقراص مبعثرة ومكسورة، آلات طباعة وماسحات ضوئيّة مكسّرة أو مفقودة، حواسيب محمولة مفقودة، مقاسم تلفونات أمّا اختفت أو خُربت، ملفّات الأوراق إمّا

مُزقت أو أُحْرِقت أو بُعِثرت أو سُوهت، هذا إذا لم تُؤخذ. وكل ذلك في غرف مليئة بالأثاث المحطم والسّتائر الممزقة وشبابيك مكسّرة وأبواب محطّمة وجدران مليئة بالثّقوب وأرضيات قدرة وحمامات ملطّخة. وقد ترك الجنود هنا وهناك كتابات فاحشة ملؤها الحقد. ولكن إذا ما قورن ذلك بالمعلومات التي دمّرت أو أخذت تكون قراءة الإهانات وكأنّها شعر. وحتى الحمامات الطّافحة تبدو وكأنّها ضعف بشريّ إذا ما قورنت بالتّخريب المنظم الذي ينعكس في أكوام الحواسيب المحطّمة. إنّها ليست قطّ تكاليف أجهزة الحاسوب التي يجب أن تُستبدل، إنّها خسارة لا تُثمّن بالشّيكّل أو الدّولار. سنين من المعلومات تحوّلت إلى معرفة، الوقت الذي أمضاه في التّفكير آلاف الأشخاص وهم يعملون لبناء مجتمعهنّ المدنيّ ومستقبلهم، أو يحاولون بناء قطاع خاصّ الذي من الممكن أن يجلب الاستقرار الاقتصاديّ لبلدهم. هذي هي بنوك المعلومات التي تُطوّرها مؤسّسات السّلطة الوطنيّة مثل وزارة التّربية والتّعليم ووزارة التّعليم العالي ووزارة الصّحة. هذي هي بنوك المعلومات للمنظّمات غير الحكوميّة ومراكز الأبحاث المكرّسة لتطوير نظام صحيّ عصريّ، وزراعة عصريّة وحماية البيئة والحفاظ على المياه. هذي هي بنوك المعلومات لمنظّمات حقوق الإنسان والبنوك والمشاريع التجاريّة الخاصّة، والمستشفيات والأسواق المركزيّة. إنّها كلّها بشكل واضح أهداف التّدمير في العمليّة العسكريّة المدعوّة الدّرع الواقّي.

لم تكن هذه نزوة أو انتقام مجنون من هذه الوحدة أو تلك، أو نزعة تخريبيّة شخصيّة لجندي لم يجروا رفاقه أن يُوقفوه. لقد كان هناك قرار بتخريب البنية التّحتيّة الاجتماعيّة والإداريّة والثّقافيّة التي طوّرها المجتمع الفلسطينيّ. إنّ مشاهد التّدمير الممنهج تُظهر كيف ترجم جيش الدّفاع الإسرائيليّ في الميدان التّعليمات المتأصّلة في سياسة القيادة السياسيّة: يجب

على إسرائيل أن تدمّر المؤسّسات الاجتماعيّة الفلسطينيّة وتركها مُحْرَبَةً ولسنين كثيرة قادمة أمام الهدف الفلسطينيّ في الاستقلال، وأن ترجع المجتمع الفلسطينيّ إلى الوراء. إنّهُ من السّهل والمريح أن تفكّر أنّ المجتمع الفلسطينيّ بأكمله مجتمّع بدائيّ وإرهابيّ مُتعثّشٌ للدّماء بعد تدمير المادّة الحامّ وإنتاج نشاطهم الفكريّ والثّقافيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ.

(٨) خلال ٢٦ يوم من الخوف العظيم ومنع التّجول الصّارم والمعاناة اليوميّة تعلّمنا أن نأخذ كلّ يوم من يد الرّب شاكرين وكأنّه آخر أيّام حياتنا. ومع ذلك فإنّنا نستمرّ في التّخطيط وكأنّ المستقبل كلّهُ مفتوح أمامنا. لن نتخلّى أبدا عن مدينتنا ومجتمعتنا. نحن هنا لنبقى. وسوف نستمرّ في البناء وإعادة البناء لنخلق حياة في وسط الموت، وأن نعلن الفصح ونحن نتسلّق الطّريق إلى الجلجلة. وسوف نستمرّ في الدّعوة للمصالحة في وسط الكراهية المتنامية والانتقام ومقابلة الأذى بمثله. لم تكن خدمة المسيح أكثر أهميّة لمدينته من الآن، إنّ التزامنا بخدمته لم يكن في يوم من الأيام أقوى من الآن.

٢٠٠٣

قد يبدو هذا التّقرير السنويّ مُختلفاً قليلاً عن ال ١٥ تقريراً التي أُعطيت لي في اجتماعات لجنة التنسيق للتّعاون، ولذلك فلن أركّز على حياة الرّعيّة بحدّ ذاتها، وكيف تأثرت بالوضع السياسيّ والجدار الذي يراه كلّ منكم عند دخوله إلى بيت لحم. لكنني قرّرتُ أن أفتح لكم نافذة لتروا من خلالها ماذا يفعل القسّ اللوثرّيّ في «سنة التّفرّغ» والمشاريع المختلفة التي يقوم بها في «وقت فراغه» في هذه البلدة الصّغيرة. إنّ الهدف من هذا التّقرير هو أن أريكم إمكانات هذه الكنيسة وهذا المركز وهذه الشّراكة مع لجنة التنسيق للتّعاون (COCOP) هذه.

(١) شريك مقيم في الخدمة في لويسفيل في الولايات المتحدة

في الثامن من كانون الثاني وصلنا نحن عائلة الرّاهب إلى لويسفيل لنبدأ مهمة شريك مقيم في الخدمة لمدة ستة أشهر استجابة لدعوة من ماريان مكلور مديرة قسم الخدمات الدّوليّة في الكنيسة المشيخيّة في الولايات المتحدة.

إنّه ليس من السهل لعائلة من الشرق الأوسط أن تكون في لويسفيل في الوقت الذي كانت تزداد فيه الأزمة في المنطقة. إنه ليس سهلاً وبالأخص لزوجة والمراهقة ولطفلة أخرى في الثامنة من عمرها لا تتكلّم الإنجليزيّة بطلاقة واللّهجة الأمريكيّة غير المألوفة لها، أن تتكيّف مع وضع جديد كلياً. وشعرنا في المركز بالترّحيب كوننا فلسطينيين ولوثرين وشركاء في الخدمة.

وتطلّب مهمة شريك مقيم في الخدمة مواهب متعدّدة وشهادات متنوّعة لها صلة وتتضمّن مدّى واسعاً من المهامّ. بما في ذلك الكثير من رحلات العمل. وخلال إقامتي هناك كان من المتوقع منّي أن أعلم مساقاً له أربع ساعات معتمدة في موقع أكاديمي في معهد اللاهوت، وأعلم في صفوف مدرسة الأحد، وأتكلّم في اجتماعات صغيرة وكبيرة (تتراوح بين ١٥ و ٨٠٠ شخص) وأكتب وأنشر مقالات وأعظ في كنائس لطوائف مختلفة، وأجري مقابلات، وأطبع وأتصل بوسائل الإعلام، وأشارك، وألاحظ وأحضر وأتواصل في اجتماعات مختلفة وغرف الدردشة، وأن أمثّل كنيسة منظمّة ومشاركة في آمال ومخاوف كلّ منطقة الشرق الأوسط.

وكشريك مقيم في الخدمة كان مقرّ إقامتي في لويسفيل في المركز المشيخي. وقد أمضيت ثلثي الستة أشهر في مكتب الشراكة المسكونيّة في معهد لويسفيل المشيخيّ لللاهوت، وأمضيت الثلث الباقي (٦١ يوماً) مُسافراً في أرجاء الولايات المتحدة إلى ١٢ ولاية مختلفة: كنتاكي، إنديانا، كاليفورنيا، واشنطن العاصمة، كارولينا الشماليّة، تكساس، ميزوري، مينيسوتا، أليوي، كولورادو، ويسكانسن، وأوهايو.

لوثرنيّ في بيئة مشيخيّة

كان أحد آمالي في قبول هذه المنصب أن أمكّن كلوثرنيّ من أن أحصل على بصيرة أفضل في كيفيّة قيام المشيخين بالعمل. وقد أعطاني وقتي هناك فرصة أن أرى مزايا وعيوب كلّ من النظامين. وهما ملاحظتين فقط:

- دور المقرّر: إن اختيار شخص واحد، وإعطاءه حقّ الوصول إلى وتعريضه لكلّ الكنيسة هو بدون أيّ شكّ أداة مهمّة جدّاً في تمكين المقرّر نفسه، وكذلك تمكين كلّ الكنيسة القوميّة. وباختيار رئيس مقرّر جديد كلّ سنة (أو كلّ سنتين) يعطي الفرصة لأكبر عدد من الناس والشخصيات واللاهوت أن تكون مسموعة ومرئيّة ونشيطة في الكنيسة. وأما الجانب السلبّي من هذا النظام هو قلة الاستمراريّة ضمن النظام، وهذا يمكن أن يؤثّر على المدى البعيد على إمكانيّة الحصول على تغيير حقيقيّ على أرض الواقع.
- الديمقراطيّة البرلمانيّة: إن خبرة الجمعية العموميّة في دنفر كانت مهمّة ومغنية لي. وإن معرفة الديمقراطيّة البرلمانيّة شيء، ولكنّه وبدون شكّ شيء آخر أن تراه مُطبّقاً عمليّاً بأدقّ تفاصيله. إن الطريقة التي كانت تُدار بها الجمعية العموميّة بحسب كتاب النظام على أنّه أحد ساقّي الجمعية بجانب السّاق الأخرى، أيّ كتاب الاعترافات، كانت خبرة مهمّة لي.

في سياق الحرب في العراق

صادف وجودي هناك نشوب الحرب في العراق. وقد دارت رحي الحرب في المنطقة التي كان من المفروض أن أمثلها، ولذلك كان لها تأثير إلى حدّ ما على دوري وعملي كشريك مقيم في الخدمة. فالكثير من عظامتي وعروضي وكذلك مقالاتي كانت بهذا الخصوص. لقد كنت واضحاً فيما لم يجب أن يكون دوري: لم أرد أن يتمّ استغلالي في الصّراعات السياسيّة الداخليّة ضمن المجتمع الأمريكيّ؛ مثلاً بين الديمقراطيّين والجمهوريّين

والعكس بالعكس. وكان دوري أيضا ألا أنتقد سياسات الولايات المتحدة حيث أنني أعتقد جازما أن هذا هو دور الشعب الأمريكي نفسه. وفي الوقت نفسه كنت أريد أن أكون صادقا مع نفسي ومع الناس الذين كنت أقوم بخدمتهم هنا وهناك.

لكنني كنت واضحا فيما ينبغي أن يكون دوري:

- أن أعطي صوتا ووجهًا لمنطقة وشعب الشرق الأوسط. إن إبراز البعد الإنساني للصراع كان مهمًا بالنسبة لي.

- أن أكون شاهد عيان على الشهادة النبوية للكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة خلال هذه الأزمة، وأن ألاحظ وأنتهي إلى حركة مناهضة الحرب في الولايات المتحدة من خلال الكنائس الرئيسية. وأصبح توصيل هذه الحقيقة الأمريكية الأخرى إلى أناس من الشرق الأوسط وشريحة أوسع من الجمهور في الخارج أحد أهداف خدمتي.

- أن أكون جسرا بين المنطقتين، أي أمريكا الشمالية والشرق الأوسط. إن وسائل الإعلام العربية والأمريكية الرئيسة غطت نفس الحرب الواحدة بشكلين مختلفين جدا؛ فبالنسبة للواحد كانت «عملية تحرير العراق» وبالنسبة للآخر كانت «احتلال الأرض والتفط العراقي». إن مراقبة حدث ما يكشف أناسا «يقدرون أن يروا ومع ذلك لا يرون» وأن تسمع أخبارا هامة عن أناس «يستطيعون السمع ولكن لا يسمعون» يترك القلوب غير ملموسة ومغلقة وباردة. إن توافر خيارات كثيرة من خلال وسائل الإعلام الحديثة لا يدل بحد ذاته أن الجماهير تتواصل مع بعضها البعض. إن التواصل الحقيقي بين الشعوب والثقافات في بيئة عالمية هو أمر يجب أن لا يؤخذ كشيء مسلم به. فعندما يحصل تواصل حقيقي في بيئة عالمية فإن ذلك معجزة. معجزة من الروح القدس. والروح القدس يستعملنا المهمة الترجمة هذه وبناء الجسور والتواصل.

- لقد تركتني الحرب مع عدة أسئلة بدون إجابة عن دور الكنائس المسيحية في نظام ديموقراطي. وهذه قضية هامة وستبقى كذلك، وهي بحاجة إلى نقاش أكثر. ففي الوقت الذي فيه التصريحات عن الحرب وضده مهمة في النقاشات الداخلية، فلا أظن أنها جواب على سياسات الحكومة. يجب على الكنيسة ليس فقط أن تقول الحقيقة للسلطة، بل أن تقوم بذلك بلغة تفهمها هذه السلطات. وأنا أرى هنا تحديًا حقيقيًا لكل الكنائس الهامة، والذي يجب معالجته.

٢) بيت لحم تحت الحصار: قصص عن الأمل في أوقات الشدة

كان كثير من شركاء لجنة التنسيق للتعاون (COCOP) يُشجعونني في السنتين الماضيتين على أن أكتب تجربتي الشخصية كشاهد عيان على اجتياح مدينتنا الصغيرة بيت لحم. إن إقامتي في الولايات المتحدة أعطتني الوقت والفرصة لإنهاء هذه المهمة. وكانت نتيجة ذلك كتابًا جديدًا نشرته مطبعة فورترس (Fortress Press) وسوف يطلق في «معرض تجارة الكتب الدينية» في شيكاغو في شهر حزيران. وقد حصل الكتاب، والذي هو عبارة عن مجموعة من عشرين قصة شخصية وحقيقية من السنوات الثلاث الماضية، على مُصادقة ممتازة من المطران ديزموند توتو والدكتورة حنان عشراوي وجيمس الزغبى ومارك اليس والسنتاتور جورج مكجافرن وآخرون كثيرون.

٣) جائزة ويتنبرج للخدمات الكنسية والاجتماعية المتميزة

في يوم السبت الثامن من تشرين ثاني سنة ٢٠٠٣، كرمني معهد لوثر في واشنطن العاصمة بجائزة ويتنبرج اعترافًا بعلمي في تعزيز العمل على نشر الحوار بين الثقافات والأديان في الشرق الأوسط. وقد أسست جائزة ويتنبرج سنة ١٩٩٠ لتقدير خدمات العلمانيين ورجال الدين اللوثرين في سائر أرجاء



العالم لخدماتهم المتميزة للكنيسة والمجتمع. وبذلك يشجعون الآخرين أن يقبلوا الدعوة إلى الخدمة والقيادة الخدمائية.

(٤) إعادة تأييد قاعة القس إلياس شحادة

في الرابع من شهر تشرين أول سنة ٢٠٠٣ وفي خدمة أحد الشكر، احتفلت طائفة كنيسة الميلاذ اللوثرية بإكمال ترميم وتأييد مشروع قاعة القس إلياس شحادة. كانت المدرسة تستعمل هذه القاعة في السابق كرياض أطفال مؤقتة. وتُركت بعد ذلك بشكل مُزْر إلى أن تمكن أعضاء العمدة من جمع التبرعات اللازمة لترميم القاعة لاستعمالها لجميع نشاطات الكنيسة ودروس الكتاب المقدس واجتماعات الشبيبة وقبول التعازي... الخ. والمهم في الأمر أن التبرعات تم جمعها من أعضاء كنيسة الميلاذ اللوثرية (السابقين) الذين يعيشون في المهجر تخليداً لذكرى سلفي القس إلياس شحادة. وفي نفس الحدث، أقامت الكنيسة حفل استقبال صغيراً على شرفي تعبيراً عن التقدير لدوري القيادي في تعزيز الوجود والشهادة اللوثرية في منطقة بيت لحم.

(٥) هذه المرة، مجرد هزة أرضية طبيعية في فلسطين

ضربت فلسطين والدول المجاورة هزتان أرضيتان بقوة ٥ درجات على مقياس ريختر في الساعة ١٠:٢٠ من صباح يوم الأربعاء الموافق ١١ شباط. وكان مركزهما القسم الشمالي من البحر الميت. وقد هزتا كنيسة الميلاذ اللوثرية قرابة عشر ثوان مما أدى إلى سقوط الحجر الضخم الذي يحمل الصليب على رأس برج الكنيسة، فهوى إلى الشارع. وقد صمد البرج الذي عمره ١١٢ سنة في وجه زلزال ١٩٢٧ الذي تسبب في تدمير أكثر من ١٠٠٠ بيت في فلسطين. ولكن في هذه المرة فقد الحجر الذي علاه، والذي يبلغ وزنه حوالي ٨٠ باونداً. ولحسن الحظ لم يؤد إلى أية أضرار باستثناء الحفرة التي خلفها في الشارع.

ومع أن الخراب بحد ذاته لم يكن كبيراً، فقد كان التحدي الحقيقي هو كيفية الوصول إلى قمة برج الكنيسة لإصلاح الضرر ومنع أية مأساة حقيقية من الوقوع. وقد دعت الحاجة إلى تركيب سقالات ورافعات خاصة للقيام بهذا العمل، وهذه غير متوفرة في فلسطين. وقد تمكنا في الوقت ذاته من إيجاد المعدات اللازمة والشركات المتخصصة التي يمكنها أن تصلح الضرر. وألحنا على كل شريك أن يُخصص فوراً بعض التبرعات لهذه المصيبة. فقد كنا قد استلمنا مبلغ ٥٠٠٠ يورو فقط من الكنيسة الإنجيلية اللوثرية المتحدة في ألمانيا من مجموع ١٨٠٠٠ يورو التي يحتاجها العمل. ونأمل أن يتوفر هذا المبلغ في اجتماع لجنة التنسيق للتعاون (COCOP).

(٦) حفلا افتتاح كبيران في أوقات اليأس

حصل حدثان كبيران في شهر أيلول سنة ٢٠٠٣: الأول كان الافتتاح الاحتفالي للتحفة الفنية الجديدة للمركز؛ وهو مسرح ومركز مؤتمرات الدار، وهو الإضافة الجديدة إلى دار الندوة الدولية في بيت لحم ويتسع لـ ٣٥٠ مقعداً. وقد تم الافتتاح الذي ترأسه سيادة المطران منيب يونان في الأول من شهر

أيلول بحضور العديد من الشخصيات الهامة والاعتبارية بمن فيهم السيدة باولا ليثوماكي الوزيرة الفنلندية للتجارة الخارجية والتطوير والدكتور نبيل القسيس وزير التخطيط لدى السلطة الفلسطينية. وبعد مضي أربعة أيام فقط تم تدشين مركز دار الكلمة للصحة المجتمعية. لقد دشنا مرفقين؛ هما تحتان فنيان، لهما إمكانات هائلة لبيت لحم وفلسطين في الوقت الذي كان يستحوذ علينا فيه تاريخ من النزاع والانتقام والتمييز العنصري. لقد كنا نخشى أن يتصاعد التوتر في أية لحظة ونضطر حينها إلى تأجيل افتتاح مرافقنا مرة أخرى، فقد حصل ذلك معنا مرتين في السابق. ونحن نعلم ماذا يعني ذلك. إنه مثل الجلوس على قمة بركان وأنت لا تعلم متى يثور ثانية.

لقد علمنا العيش في هذا الجزء من العالم أن لا نأخذ الحياة شيئاً مسلماً به أبداً. فكل يوم هو عطية جديدة، ولكن ولهذا السبب عينه؛ نحن نُصرُّ على الاستثمار في مستقبل أفضل.

ففي الوقت الذي يجري فيه بناء جدار الفصل العنصري حول بيت لحم فإننا نستثمر في أناس يجرؤون على عبور الحدود.



وفي الوقت الذي تُعاني فيه الأرض المقدسة ثقافة العنف؛ فإن علينا أن نعلن أن قوة الثقافة هي ما يلزم لتحويل مجتمع وتمكين الجماعة.

وفي وقت التدمير فإننا نستثمر في الجمال.

وفي وقت القصف فإننا نضع الحاناً جديدةً ونعزف أغاني جديدةً عن الحرية والعدالة والمصالحة والتعاطف.

وفي وقت المحن العظيمة فإننا نخلق مجالاً للصحة وفسحة للأمل.

لقد قدّرنا كثيراً زيارة العديد من الأصدقاء الذين جاؤوا من قريب أو بعيد؛ ليكونوا معنا، وليروا جدار الفصل العنصري يُحيط ببيت لحم، وأيضاً ليحتفلوا معنا بهذه الافتتاحات. لقد كان هذان المشروعان بالنسبة إلى شركائنا وبخاصة وزارة الخارجية الفنلندية و(Wheat Ridge Ministries) ولأناس كثيرين هنا في بيت لحم حلمًا تحقّق في سياق يتعرّض فيه الناس إلى كوابيس بشكل متزايد. ومع ذلك فإننا لم نُحقّق هدفنا بعد: فقد كان أحد الأهداف الموضوعة للسنتين القادمتين هو أن نعمل على الجزء الثاني من مركز الصحة المجتمعية، وذلك بزراعة نصف مليون نبتة وشجرة ورد. وبهذا نخلق مُتنزّه طبيعي في المنطقة.

والهدف من وراء ذلك كله هو الحصول على بيت لحم أكثر إشراقاً وخضرة. ويقي هدفنا الأكبر؛ العدالة والسلام والمصالحة، وهذه مجرد خطوات ومحطات على هذه الطريق. لقد ملّ الناس هنا من السماع عن خارطة الطريق التي لا تؤدّي إلى أيّ مكان. إن هذه المحطات والاحتفالات الصغيرة فتحت لنا المجال لأن نتنفّس الصعداء، وعلى ما يبدو أنها لا تزال رحلة طويلة. ومدى احتياج بيت لحم لهذين المرفقين تُظهره إحصائيات أول ثمانية أشهر. فمنذ الأول من أيلول حتى الثلاثين من نيسان استعمل المرفقين أكثر من ٣٠,٠٠٠ شخص.

٧) القادة الخدام العالميين

في شهر آذار سنة ٢٠٠٣ جاء ممثلو دار الندوة الدولية إلى بيت لحم ومركز لوثر في ويتنبرج ومركز المكسيك، وجميعها تعترف بها الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في أمريكا على أنها مراكز قيادية للتعليم المستدام. جاؤوا سوياً إلى دلاس ليكونوا شراكة استراتيجية وشبكة عالمية وبرنامج تدريب فريداً من نوعه لطلاب معهد اللاهوت وقادة المستقبل للكنيسة المنتشرة في العالم. وفي قلب هذه الشراكة هناك برنامج سفر لمدة ٢-٤ أسابيع لكل من الأماكن التالية:

- بيت لحم على أنها مركز التشكيل.
- مركز لوثر في ويتنبرج على أنه مكان الإصلاح.
- ومدينة مكسيكو على أنها مكان التحوّل.

ويُنظر إلى المهمة من وراء هذا البرنامج الجديد على أنها مواجهة أناس وأماكن التشكيل والإصلاح والتحوّل ليصبحوا قادةً وخُدّاماً عالميين في عالم متغيّر مضطرب، وكنيسة متغيّرة تقوم بالبحث. وقد عُقد اجتماع آخر في شباط سنة ٢٠٠٤ في مدينة مكسيكو، واجتماع ثالث مُقرّر أن يُعقد في بيت لحم سنة ٢٠٠٥.

٨) مركز إعلام بيت لحم

في شهر كانون الأول سنة ٢٠٠٣ افتتحت دار الندوة الدولية في بيت لحم مركز الإعلام التابع لها، وأطلقت موقعا جديدا هو:

www.bethlehemmedia.net وعنوانه (BMN) Bethlehem Media NET والمركز ملتزم بأن يكون «صوت مَنْ لا صوت له»، وهدفه أن يعطي الإعلام وصولاً أكبر، وفهماً أعمق لتلك الأغلبية العظمى من الشعب الفلسطيني التي يندر الاستماع إليها، والتي تريد الحرّية والعدالة، وتبحث عن مستقبل أفضل من خلال وسائل اللاعنّف.

لقد أصبح العمل مع الإعلام أولوية قصوى حيثُ أن الواقع الفلسطيني لا يُنقلُ إلى العالم الخارجي بشكل كامل. وقد أكّدت الأحداث الأخيرة الأهمية القصوى للعمل بشكل أكثر وأفضل على التغطية الإعلامية عن فلسطين.

تركز مقالات مركز إعلام بيت لحم على مقالات وبيانات عن الفلسطينيين، يكتبها فلسطينيون عن كيف يرسلون أطفالهم إلى المدارس، وكيف يذهبون هم أنفسهم إلى المدارس أو يحاولون الحصول على وظيفة أو أن يصلوا إلى أماكن وظائفهم عبر الحواجز ونقاط التفتيش، أو أن يعملوا في حقولهم وبساتينهم كمزارعين أو أن يحصلوا على العناية الطبيّة أو الصلاة - كلُّ مكونات الحياة المتنوعة؟

ويحتوي الموقع على فقرات عن حقائق وأرقام هامة؛ مثل الإحصائيات والخرائط والمعجم. والوثائق رئيسة؛ مثل الإعلانات والتصريحات السياسية الحكومية وتلك الصادرة عن المنظمات العالمية والكنائس، ومصادر الإعلام ومنظمات الأبحاث والمراكز الثقافية، بالإضافة إلى معرض صور احترافي يمكن تنزيله ونسخه، وستضاف قريبا مقاطع مرئية ومسموعة وسيتم تحديث الموقع أسبوعياً.

إضافة إلى ذلك فإن مركز إعلام بيت لحم يُساعد الصحفيين الذين يرغبون في الدراسة والقيام برحلات لكتابة التقارير بما في ذلك زيارة المواقع المهمة في فلسطين ولقاءات مع الفلسطينيين. وتُرتب خدمة الإعلام برامج الرحلات والمترجم/الدليل والنقل والسكن والدعم الفني. وقد ساعد المركز العديد من الصحفيين من الولايات المتحدة وأوروبا.

وقد قامت الإغاثة اللوثرية العالمية عن طريق الاتحاد اللوثرية العالمي بتمويل إنشاء الموقع.

(٩) التّواصل أثناء منع التّجول

المشروع الأوّل والفريد من نوعه في التّعلم عن بعد في تاريخ فلسطين

إنّ تجربة بيت لحم مع الاجتياحات ومنع التّجول لمدة ٢٤ ساعة قد أدّى إلى خسائر في انتظام الطّلاب في المدارس وخاصّة سنة ٢٠٠٢ والقسم الأوّل من سنة ٢٠٠٣. وقد نجم عن ذلك تدهورٌ في عمليّة التّعليم بشكل كبير. وعلى سبيل المثال؛ فإنّ طّلاب مدرسة دار الكلمة التّموجيّة خسروا حوالي ثلاثة أشهر من الدّراسة خلال سنة ٢٠٠٢ وحدها. حقيقةً؛ إنّ الطّلاب كانوا يُعانون صعوبةً في طريقهم من وإلى المدرسة لذا سعت دار الندوة الدّوليّة في بيت لحم في أن تبحث عن حلّ يتمكّن فيه الطّلاب من الوصول إلى مُعلّمهم ودراساتهم بشكل منتظم أكثر أو بمقاطعة أقلّ، ومن هنا ولدت فكرة مشروع التّعلم عن بُعد.

لقد اضطلعت دار الندوة الدّوليّة في بيت لحم بمشروع مبتكر ومهمّ، مكنّ طّلاب مدرسة دار الكلمة التّموجيّة والمدرسة الإنجيليّة اللوثرية في بيت ساحور وطلابها قومي أن يُتابعوا دراستهم دون أن يُعيقهم منع التّجول. وقد استلزم المشروع إنشاء نظام اتّصالات لتسهيل التّعلم عن بعد؛ حتّى يتمكّن الطّلاب والمعلّمون أن يتّصلوا مع بعضهم، وهكذا فإنّ الحواجز الماديّة المفروضة بشكل تعسفيّ على الطّلاب في محاولتهم للوصول إلى صفوفهم لم تعد تقدر أن تمنعهم من التّعلم.

ولقد تمّ بناء مشروع التّعلم عن بعد بناءً على نجاح مشروع قائم، وهو مشروع بيت لحم المباشر على الانترنت. لقد أصبح كلّ طالب جزءاً من فريق الكترونيّ مختلف ذي صلة، من خلال بريده الإلكترونيّ. وتقع على المعلّمين مسؤوليّة إرشاد الطّلاب من خلال المادّة التّعليميّة، ومن خلال مجموعات التّقاش المنبثقة عن كلّ فريق الكترونيّ. وقد قدّمت دار الندوة الدّوليّة الدّعم الفنيّ لأيّة مشاكل فنيّة قد تحصل.

والمشروع الذي كان يتضمّن تركيب سيرفرات ومودومات قادرة على تحمّل العدد الكبير من المستخدمين، كان يعني أنّ على دار الندوة الدّوليّة أن تتحوّل إلى مزوّد لخدمات الانترنت أيضاً؛ لتقدّم للطّلاب والمعلّمين خدمات انترنت رخيصة؛ لتمكّنهم من الاشتراك في هذا البرنامج، آخذين بعين الاعتبار الوضع الاقتصاديّ المتدهور لسكّان بيت لحم. وبهذه الطّريقة كان لكلّ طالب وصول إلى الانترنت في البيت لمدة ٢٤ ساعة في اليوم مقابل دولار أمريكيّ واحد في الشّهر في الوقت الذي كان فيه مُزوّدو خدمات الانترنت يقدّمون نفس الخدمة مقابل ٢٥ دولاراً أمريكيّاً في الشّهر. ولغاية الآن فقد حصل ٦٥٠ طالباً على خطّ الانترنت من خلال دار الندوة الدّوليّة، ويمكنهم التّواصل حتّى تحت منع التّجول. إنّ مهمّتنا ليست أن ندع الاحتلال الإسرائيليّ يقودنا إلى اليأس، ولكنّ حربيّ بنا أن نتغلّب على كلّ العقبات من خلال الإبداع والتصميم والابتكار.

ومن أجل تحضير المعلّمين لهذا التّوع الجديد من التّعليم، ولتمكينهم من تنفيذ هذا المشروع بنجاح، فإنّ دار الندوة الدّوليّة تقدّم برنامج تدريب مكثّفًا للمعلّمين على الانترنت والتّواصل الإلكترونيّ. ولقد طلب الآن من دار الندوة تكرار هذا المشروع المُبتكر في مدارس أخرى في أنحاء فلسطين. ونودّ أن نشكر أصدقاءنا من الولايات المتّحدة وجمعيّة برلين التّبشيريّة من ألمانيا لدعمهم من أجل تحقيق هذا المشروع.

(١٠) مركز موارد التّعليم الدينيّ

بناء على توصية من المجلس الكنسيّ وبالتّسيق مع مكتب مدير المدارس، بدأت دار الندوة الدّوليّة عمليّة طويلة المدى تهدف إلى رفع مهارات ومعرفة وإمام معلّمي التّربية المسيحيّة في كلّ المدارس اللوثرية، وخلق مصدر مباشر على الانترنت ليتمّ استعماله ليس فقط من قبل معلّمي هذه المدارس، ولكن يمكن ل ٣٠٠ مليون عربيّ في أنحاء العالم الوصول إليه. وقد اشترك لغاية الآن في

هذا المساق الذي بدأ في كانون ثاني سنة ٢٠٠٤ والذي سيستمر لبضع سنوات ١٨ معلماً وقِسًا شابًا. وما هو واضح لغاية الآن أن الانترنت وكل تطبيقات الإعلام الديني يتحكم بها بشكل تام المسيحيون الإنجيليون، بالإضافة إلى القليل من المواد الكاثوليكية والقبطية. وليس هناك انترنت يعتمد على مواد لوثرية في لاهوتها. وتوراتية في روحانياتها وسياقية في تطبيقاتها. وهذان هما بالضبط المهمة والتحدّي اللذان أمامنا.

(١١) الخاتمة

عند مباشرة مشاريع ومجهودات كثيرة في سياق من اليأس المطلق وعدم اليقين مثل هذا، تكون نعمته هي التي تعمل. إنها نعمته تعالى التي تحفظنا يوميًا، إنها نعمته التي تقودنا، وهي التي تمكّننا. عندما يكون أمامنا عمل كثير مثل هذا فهو ثمرة عمل أيادٍ معطاءة كثيرة: المطران منيب يونان والقسيس ساندرا اولوين اللذان اهتمّا بالكنيسة أثناء وجودي في الولايات المتحدة، أعضاء عمدة كنيسة الميلاذ اللوثرية الذين أظهروا دورًا قياديًا قويًا، نائبَي الاثنين، المُستقيين وموظفي دار الندوة ودار الكلمة الذين يعملون ليل نهار لجعل هذا المكان منارة للأمل في أوقات اليأس. وأنتم يا شركاءنا لالتزامكم المستمر في خدمة المسيح في وطنه. إننا جميعًا قد جعلنا هذه الرؤى ممكنة وهذه الأفكار الصغيرة نجاحًا عظيمًا.

٢٠٠٤

كانت سنة ٢٠٠٤ واحدة من متناقضات كثيرة: فمن ناحية؛ كنا نرى الجدار ينتهك مدينتنا يومًا بعد يوم محوًا «مدينتنا الصغيرة» إلى سجن كبير، ومن ناحية أخرى؛ شهدنا ارتفاعًا في الزوار الأجانب الذين جاؤوا ليس فقط كسياح وإنما للتضامن مع شعبنا وكنيستنا. ولقد اخترنا مدى صدمة ويأس وعجز

شعبنا، ومع ذلك مدى استمرار مقاومته وقوّته ونشاطه. أن تكون مسيحيًا اليوم هو دعوة لأن تكون «مثل جسر فوق مياه مضطربة» «منطقة أمل» في بيئة تميّزت باليأس، ومصدر حياة في سياق تسيطر عليه قوى الشرّ.

وبالنسبة لنا في هذه الخدمة في بيت لحم هاكُم بعض التوضيحات:

(١) الرّوحانيّة كمصدر للتّجدد

لقد تميّزت الحياة الرّعوية في سنة ٢٠٠٤ ببحث أصيل عن روحانيّة يقولُ بها الإنجيل. وبدا هذا واضحًا في الحضور المنتظم لدروس الكتاب المقدّس وصلوات أسبوع الآلام، وكذلك في الاجتماعات العائليّة الكثيرة التي كانت تعقد خلال السّنة.

(٢) التّثبيت

في الثالث من شهر تشرين أوّل؛ قمتُ أنا وسيادة المطران منيب يونان وسيادة المطران المتقاعد نعيم نصّار بتثبيت ١٣ شابًا وشابّة في كنيسة الميلاذ اللوثرية. وكان المتبّتون قد تلقّوا دروسًا في التّثبيت لأكثر من سنتين. لقد كان تعليم وإقامة الرياضة الرّوحية والعمل مع هذه المجموعة مصدر فرح وتشجيع لنا جميعًا. وأستطيع أن أقول بكلّ أمانة أن هؤلاء الشّباب قد تثبّتوا في إنجيل يسوع المسيح وهم متجدّرون في الكنيسة ونشيطون في حياة الطّائفة.

(٣) قيادة الجيل القادم

بهدف تجهيز وتمكين الجيل القادم من القادة اللوثرين، عُقدت عدّة مسابقات تدريب على القيادة لأعضاء الكنيسة من الشّباب. إضافة إلى ذلك فقد تمّ عمل برنامج بعثات يضمن لكلّ طالب لوثريّ الحصول على بعثة دراسية جزئية ليكمل تعليمه الجامعيّ في الجامعات المحليّة أو في الخارج.



السيّاح والسكّان المحليّين وأعضاء الطاقم بالطعام الممتاز والجوّ الفريد من نوعه والخدمة الممتازة.

٧) افتتاح نُزُل بيت لحم اللوثرية «بيت أبو جبران»

في أيار سنة ٢٠٠٤، وبعد انقطاع لمدة سبع سنوات، تمّ إعادة افتتاح نُزُل بيت لحم اللوثرية، والمعروف باسم «بيت أبو جبران» للضيوف والسيّاح الأجانب. وقد كان النُزُل الذي كان يُستعمل كمدرسة من سنة ١٩٩٧ حتّى سنة ٢٠٠٠، قد تضرّر بشكل كبير بسبب الاجتياح الإسرائيلي لبيت لحم. ويتكوّن النُزُل الذي تمّ ترميمه من ١٣ غرفة جميلة التّأثيث وبأثاث مصنوع محليّاً، ويستوعب ٢٦ ضيفاً. وجميع الغرف مُزوّدة بحمام خاصّ، وجهاز تلفزيون، التّدفئة المركزية، التّكييف، التّلفون، والانترنت. وقد أُطلق على كلّ غرفة اسم إحدى قرى منطقة بيت لحم وزُيّنت بأشغال فنيّة تمّ صنْعها في مشاغلنا بما في ذلك بلاط الحمامات. إن ترميم النُزُل لم يكن ممكناً لولا الدّعم الكريم من يوم الصّلاة العالميّ والكنيسة الإنجيليّة في ألمانيا والقرض الميسّر بقيمة ٧٠٠,٠٠٠

٤) برامج السيّدات

لقد تكوّنت لجنة سيّدات لوثرية جديدة في بيت لحم أطلقت برنامجاً نسويّاً مسكونيّاً فريداً من نوعه. يتكوّن البرنامج من وجبة إفطار شهرية للسيّدات ومحاضرة شهرية عامّة. ويشترك حوالي ١٠٠ سيّدة على أساس منتظم في هذا البرنامج الذي أصبح حديث البلد.

٥) ترميم برج الكنيسة بعد الهزّتين الأرضيتين

لقد هزّ الزلزالان اللذان ضربا فلسطين في الحادي عشر من شباط كنيسة الميلاذ اللوثرية، وتسبباً بضرر كبير في برج الكنيسة. فقد هوي الحجر الضخم الذي يحمل الصّليب على رأس برج الكنيسة إلى الشّارع. ومع أنّ الضّرر بحدّ ذاته لم يكن كبيراً جدّاً، فقد كان التّحدّي الحقيقيّ هو في كيفية الوصول إلى قمة البرج لإصلاح الضّرر. فقد دعت الحاجة إلى سقالات خاصّة ومكلفة لإنجاز المهمّة. وقد أنجز المهمّة متعهد محليّ، وأشرف على العمل اثنان من أعضاء العمدة: المهندس عيسى أبو غزالة والمحاسب القانونيّ المُعتمد السيّد عادل خضر. وقد بلغت الكلفة الإجمالية للتّرميم ٧٩,٠٠٠ شيكل وقد غطّى معظمها شريكانا الاثنان: كلٌّ من الكنيسة الإنجيلية اللوثرية المتّحدة في ألمانيا (VELDK) وجمعية برلين التّبشيرية (BMW) وأعضاء الطّائفة. ونودّ أن نُقدّم الشكر لهذين الشّريكين لكرمهما وهدية المحبّة التي قدّموها.

٦) الافتتاح الاحتفاليّ لمطعم العليّة ومقهى الكوز

لقد حضر أكثر من ١٠٠٠ شخص حفل افتتاح مطعم العليّة ومقهى الكوز في أيلول سنة ٢٠٠٣. لم يكن القرار سهلاً أن تُوظف طاقماً جديداً في مثل هذا الوقت، وأن نفتح هذه المرافق للجمهور، لكننا، وبالإيمان تجرّأنا على عمل ذلك وأظهرنا كيف يمكن أن نزيد من «إمكانية التوظيف من خلال الصّياغة». فقد وجد ١٥ شاباً عاطلاً عن العمل وظائف وأمل في دُخُل مُنتظم. وسيستمتع الآن

كرونا دانماركي قدّمه بنك أويكس (OIKOS) وكفّلته وكالة الإغاثة الكنسيّة الدنمركية. كان نسبة النُزُلَاء في النُزُل خلال ال ١١ شهرًا الأولى من تشغيله ٣١,٢٪. ويُدرّ النُزُل الآن بعض الدُخْل للكنيسة الإنجيليّة اللوثرية في الأردنّ والأراضي المقدّسة، والذي نرجو أن يزداد إذ إنّه من المتوقّع قدوم ضيوف أكثر في هذه السنّة والسنّة القادمة.

(٨) محميّة دار الكلمة الطّبيعيّة

في شهر تشرين ثاني سنة ٢٠٠١ بدأت المرحلة الأولى من بناء الأسوار حول موقع دار الكلمة. وبعد الاجتياح الإسرائيليّ الكبير لبيت لحم في آذار سنة ٢٠٠٢، وما تبعه من اقتحام الجنود الإسرائيليّين لدار الكلمة ازدادت الحاجة إلى بناء سور واق حول أملاك الكلية. وفي سنة ٢٠٠٤ استمرزنا في البناء، وقد أنجز لغاية الآن بناء أكثر من ٧٠٪ من السور. ولدى اكتمال بناء الأسوار ستمكّن من المُضيّ قُدّمًا بمخطّطاتنا لإكمال المحميّة الطّبيعيّة لدار الكلمة. وستخلق المحميّة بيئة طبيعيّة على الجبل، وستستفيد منها منطقة بيت لحم من ناحية بيئية كأداة ترويجيّة مهمّة للطلاب وللمجتمع، وبما يتعلّق بأهميّة الحفاظ على البيئة الطّبيعيّة. وأودّ أن أُعبّر عن شكري للجمعيّة الإنجيليّة اللوثرية الفنلنديّة (FELM) لدعمهم المستمرّ لهذا المشروع الهامّ.

(٩) كلية دار الكلمة

في سنة ٢٠٠٢ أطلعتكم على مخطّطاتنا لكلية دار الكلمة كمعهد رسميّ للتعليم العالي، يمنح درجات في الموسيقى، الفنّ، الإعلام، الاتّصالات، السياحة، والخدمة المسيحيّة. وقبل بضعة أسابيع دخلنا في مناقشات جدّية مع كليّة طاليطا قوميّ المجتمعيّة لبحث سبل تطوير شراكة استراتيجيّة بين المؤسّستين، والتي بدورها ستعطي كليتنا استدامة أفضل، وتقلّل كلفة التشغيل، وتقدّم برامج شاملة وجذّابة ومتنوّعة.

(١٠) لوثر باللّغة العربيّة

كجزء من محاولتنا لتقديم مصادر للتّربية المسيحيّة مباشرة على الانترنت، أطلقنا موقعًا جديدًا، هو الأوّل من نوعه في العالم العربيّ. وهذا الموقع مُخصّص لأعمال مارتن لوثر وللكتابات عنه. وبالتدرّج وفي غضون السّنوات الخمس القادمة؛ فإننا نخطّط لترجمة كلّ كتابات مارتن لوثر الرّئيسة من اللّغة الألمانيّة إلى اللّغة العربيّة، ولجمّع كلّ ما كتّب عنه، وعن الإصلاّح باللّغة العربيّة، لجعلها متوفّرة مباشرة على الانترنت.

إنّ لموقع: www.lutherinarabic.org الآن أكثر من ٣٤ html صفحات pdf (ما مجموعه ٤٠٠ صفحة) والكثير من الصّور. وسيتبع ذلك ومع مرور الوقت الصّوت والصّورة. إننا نشجّعكم على زيارة الموقع وتعريف أصدقائكم وزملائكم عليه. تأتينا تغذية راجعة ممتازة لهذا الموقع. وأودّ أن أتقدّم بالشكر من الكنيسة الإنجيليّة اللوثرية المتّحدة في ألمانيا لدعمها لهذا المشروع الهامّ.

(١١) المنشورات

لقد تلقّى كتابي الأخير «بيت لحم تحت الحصار: قصص عن الأمل في أوقات الشدّة» تعليقات ممتازة في الصّحف، وقد تمّت ترجمته، وسيتمّ نشره بشماني لغات مع نهاية هذا العام. إننا نشكر الله؛ لأنّه أعطانا هذا الامتياز أن نكون شهودًا له لكثير من النّاس في كثير من البلاد.

لقد أنهى مركز إعلام بيت لحم التّابع لنا كتيّبًا من ٢٤ صفحة بعنوان «مدينة بيت لحم الصّغيرة: ماذا جرى لها» وهو يركّز من خلال الصّور والخرائط والحقائق والأرقام على تأثير الجدار على المدينة بشكل عامّ، وعلى المجتمع المسيحيّ الفلسطينيّ بشكل خاصّ. لقد أنهت وحدة الإنتاج لنا «بذور» اسطوانة لمُدّة عشرين دقيقة بعنوان «احتجاج داخل الجدار والاحتجاج خارجه:

قصة من بيت لحم» مركزة على نفس الموضوع. إن كلا المصدرين مُتوفّران بشكل واسع في مركزنا وعلى الانترنت. إننا نشجّع شركاءنا على توزيعهما على أوسع نطاق، وأن يُساعدونا على ترجمة هذه المصادر كلٌّ إلى لغته.

(١٢) الخاتمة

عندما مباشرة مشاريع ومجهودات كثيرة في سياق من اليأس المطلق وعدم اليقين مثل هذا، تكون نعمته تعالى هي التي تعمل. إنها نعمته تعالى التي تحفظنا يوميًا، وهي التي تقودنا وتمكّننا عندما يكون أمامنا عملٌ كثير مثل هذا؛ فهو ثمرة عمل أيادٍ معطاءة كثيرة: أعضاء عمدة كنيسة الميلاذ اللوثرية الذين أظهروا دورًا قياديًا قويًا، نائبي الاثنين، المنسّقين وموظفي دار الندوة ودار الكلمة الذين يعملون ليل نهار لجعل هذا المكان منارة للأمل في أوقات اليأس. وأنتم يا شركاءنا لالتزامكم المستمرّ لخدمة المسيح في وطنه. إننا جميعًا قد جعلنا هذه الرؤى ممكنة وهذه الأفكار الصّغيرة نجاحًا عظيمًا.

٢٠٠٥

«لذلك لا نفشل.» هذه الآية من الرسالة إلى أهل كورنثوس الثانية هي الأكثر ملائمة في وصف ما نشعر به هذه الأيام. تقريبًا كل شيء حولنا يريد أن يجعلنا فاشلين. إن عدم الفشل في سياق كهذا ليس شيئًا نحن نعمله أو نخطّط له، لكنّه شيء منحنا إياه، إنّه نعمة نختبرها وتمكّننا من أن نبقى مُركّزين على مهمّتنا في إعلان ملكوت الله. ففي وسط التّحديات الهائلة نرى إمكانيّات احتمالات لا نهاية لها.

وبالنسبة لنا في خدمتنا في بيت لحم هذه هي بعض التّحديات والإمكانيّات:

(١) الاستثمار في الرّوحانيّة

لقد تميّزت الحياة الطّائفيّة في سنة ٢٠٠٥ ببحث حقيقيّ عن الرّوحانيّة التي شكّلها الإنجيل. وكان هذا واضحًا في حضور دروس الكتاب المقدّس، وصلاة أسبوع الآلام، وكذلك في اجتماعات العائلات والسّيّدات الكثيرة التي تمّ تنظيمها خلال السنة. وقد صرّح أعضاء العمدة المُنتخبين حديثًا: إنّ مهمّتهم للسّنات الخمس القادمة أن يُركّزوا بشكل كليّ على «الحجارة الحيّة» وعلى صحتهم الرّوحيّة والتّفسيّة والجسديّة. ولهذا السّبب فقد وظّفنا نيفين الصّراص للعمل على التّربية المسيحيّة، وبتركيز خاصّ على الأطفال والشّبيبة. ولقد سرّنا أن نستقبل السّيّد مات ميدلتون كمتطوّع أجنبيّ ليعمل على الموسيقى الكنسيّة.

إنّ جزءًا من هذه الرّوحانيّة هو العهد الذي أخذه أعضاء الطّائفة على أنفسهم في أن يستمرّوا في زيادة عطاياهم لكنيستهم سنة بعد سنة. ومرة أخرى في هذه السنة ضُربَ رقمٌ قياسيٌّ جديدٌ في العطاء. نشكر الرّبّ على هذا التّفاني والالتزام والذي بدا واضحًا جليًّا بالرّغم من جميع القيود الاقتصاديّة وعدم الاستقرار السياسيّ.



٢) انتخاب مجلس طائفة جديد

في ١٥ كانون الثاني سنة ٢٠٠٦ اجتمعت الطائفة لاختيار خمسة أعضاء، يعهدون إليهم أن يكونوا العمدة للسنوات الخمس القادمة. وسرنا أن أعضاء العمدة الجدد يمثلون تنوعاً واسعاً من حيث العمر والجنس والمهنة والمواهب وهم: هالة فضول (معلمة)، عيسى أبو غزالة (مهندس مدني)، طوني نصار (معلم)، مازن عودة (محاسب)، وعادل ناصر (متقاعد).

٣) مشروع إسكان بيت لحم

منذ أكثر من ٢٥ سنة كان اللوثريون في منطقة بيت لحم يتكلمون عن الحاجة إلى إسكان. وهذا مهم جداً وبخاصة لكنيسة معظم أعضائها من اللاجئين. ومع قرار الكنيسة الكاثوليكية في بيت لحم إنشاء ٧٠٠ وحدة سكنية بحلول عام ٢٠١٠، والتي تمّ بناء ٣٠٠ وحدة منها ويجري الآن استعمالها، ومشروع إسكان الروم الأرثوذكس في بيت ساحور والذي يتوسّع يوماً بعد يوم، يواصل أعضاء كنيستنا سؤالنا: متى سيصبح «مشروع إسكاننا» حقيقة واقعة؟ وحيث إن أرض مقبرة بيت لحم هي تاريخياً تحت وصاية كنيسة الميلاذ اللوثرية، قلنا: إننا مستعدون لمشاركة هذه الملكية لإقامة مشروع إسكان يكون مفتوحاً لأعضاء الطوائف الثلاث في منطقة بيت لحم. وهناك جانب آخر واضح لنا: نحن لا نريد أن نتنافس في جمع التبرّعات مع مشروع إسكان القدس في المظلع (الأوغستا فكتوريا). ولهذا السبب نحن لا نحاول أن نجتمع التبرّعات لمشروعنا. ولكن علينا أن نرتب نظام قرض مع أحد البنوك الرائدة في فلسطين. ويبدو أن المناقشات واعدة. وفي شهر آذار من هذا العام تمكنا أن نسجل أسماء الأعضاء الذين هم بحاجة ومهتمين بشكل جدّي في مشروع إسكان بيت لحم هذا، وكانت النتائج كالتالي: تمّ تسجيل ما مجموعه ٤٣ عائلة منها ٢٠ مهتمّون بشقق و٢٣ في وحدات سكنية. وكان توزيع العائلات على النحو التالي: ٢١ عائلة من بيت لحم، ١٤ عائلة من بيت جالا، و٨ عائلات من بيت ساحور.

وبفضل إخلاص المهندس سني كسابرة جرى مسح الموقع، ونأمل أن نطرح العطاء قريباً للمنافسة المعمارية. دعونا نُصلّ كيلا نفشل هذه المرّة.

٤) نُزل بيت لحم «بيت أبو جبران»

في أيار ٢٠٠٤، وبعد مقاطعة لمدة سبع سنوات، أُعيد فتح نُزل بيت لحم اللوثرية والمعروف ب «بيت أبو جبران» لاستقبال الضيوف والسّياح الأجانب. وكان معدل الإشغال خلال سنة ٢٠٠٤ (٣١,٢٪) وفي سنة ٢٠٠٥ ارتفعت هذه النسبة إلى ٤٧,٣٪. إن معدل التعادل هو ٣٥,٢٪ (بدون فوائد) و٤٠٪ (مع الفوائد) وبهذا العدد من الإشغال تمكنا من توفير ١٥,٠٠٠ دولار ربحاً صافياً (استعمل منها ٥,٠٠٠ لدفع الفوائد) ذهبت إلى الميزانية العامة للكنيسة. وهذا الدّخل لا يظهر في الميزانية لأنّه استعمل في سداد بعض التّفقات رأس المال. واعتباراً من سنة ٢٠٠٦ علينا أن نبدأ بتسديد القرض الذي أخذناه من بنك أويكوس (OIKOS) في الدّمارك. ونأمل أنّه بزيادة عدد السّياح القادمين سوف نتمكّن من أن نرفع من إيجار الغرفة تدريجياً، وأن ندفع الديون ونوفّر بعض الدّخل للكنيسة.

٥) محمّية دار الكلمة الطّبيعية

إنّ بناء الأسوار حول أملاك موقع دار الكلمة الذي بدأ العمل به في شهر تشرين ثاني ٢٠٠١ قد أُنجز في أوائل هذه السنة. وستمكن في سنتي ٢٠٠٦-٢٠٠٧ أن نعمل بترواً على زراعة وتجهيز هذه المحمّية الطّبيعية المهمّة جداً، والتي سوف تخدم ليس المدرسة والكلية فحسب، وإنما المنطقة كلّها. وأودّ أن أعبر عن شكري للجمعية الإنجيلية اللوثرية الفنلندية (FELM) لدعمهم المستمرّ لهذا المشروع.

٦) كَلِيَّة دار الكلمة

لقد أطلعناكم في سنة ٢٠٠٢ على خططنا لكليّة دار الكلمة كمعهد رسمي للتعليم العالي، يمنح درجات في الفنون، الإعلام، الاتصالات، السياحة، والخدمة المسيحيّة. وقد أطلعناكم في السنة الماضية أننا دخلنا في مفاوضات مع كليّة طاليطا قومي المجتمعيّة لبحث طرق تطوير شراكة استراتيجية بين المؤسستين، والتي من شأنها أن تعطيهما الاستدامة، وتقلص كلفة التشغيل وتقدم برامج شائعة ومتنوعة. وقد رفضت جمعية برلين التبشيرية (BMW) اقتراحنا مما قادنا إلى أن نبحث عن اعتماد أكاديمي وحدنا.

وفي الأوّل من شهر شباط منحت وزارة التربية والتعليم العالي الاعتماد الأكاديمي لكليّة دار الكلمة، وهكذا أعطتها صلاحية أن تطرح البرامج التي تنوي تدريسها ليتم اعتمادها. وقد شارفت عملية اعتماد البرامج على الانتهاء، ومن المتوقع أن نستلم التفويض في غضون الأسابيع القليلة القادمة وفي الوقت المناسب لفتح أبوابنا في أيلول سنة ٢٠٠٦. وستبدأ الكليّة بتقديم خمسة برامج تمنح شهادات. وستستضيف دار الندوة الدوليّة هذه البرامج حتى يتمّ جمع التبرعات لبناء عمارة منفصلة على جبل مريز. إن طواقم الهيئة الأكاديمية والإدارية اللازمة لإدارة الكليّة هي قيد التعيين.

٧) المؤتمرات الدولية في الدار

كجزء من مجهوداتنا في جعل من بيت لحم محورا رئيسا للمؤتمرات المسيحيّة، استطاعت دار الندوة الدوليّة أن تجتذب وتنظّم وتستضيف عدّة مؤتمرات دولية كبريات في مركز الدار الثقافي للمؤتمرات. ومن أهمها كان مجلس الاتحاد اللوثرية العالمي والمؤتمر المتعدد الثقافات لدار الندوة الدوليّة في بيت لحم بعنوان «الأرض والناس والهويّات» ومؤتمر كنيسة الميثودست المتحدّة (UMC) عن إسرائيل وفلسطين، ومؤتمر المؤسسة العربيّة للثقافة «مؤتمر فلسطين التربوي»

ومؤتمر الكنيسة المشيخيّة في الولايات المتحدّة (PCUSA) «الحدث التربوي لصنع السلام». إنّه من دواعي سرورنا أن نرى كيف أن بُنيّنا التّحتيّة، وقدراتنا في إدارة الأحداث والموظفين يمكن أن تعطينا خدمة عالية الجودة على مستوى عالمي عالٍ. نرجو أن تساعدونا في تعزيز مَرافقتنا وذلك بتشجيع كنائسكم أن تعقد بعض مؤتمراتها هنا في بيت لحم.

٨) لوثر باللّغة العربيّة

لا زلنا نعمل دون انقطاع على موقعنا على الانترنت الذي أطلقناه سنة ٢٠٠٤ والهادف إلى ترجمة أعمال مارتن لوثر الرّئيسة من الألمانيّة إلى العربيّة، وأن نجتمع كل ما كتب عنه وعن الإصلاح باللّغة العربيّة، ولجعلها متوفرة مباشرة على الانترنت. إن موقع: www.lutherinarabic.org يحوي أكثر من ١٠٠٠ صفحة والعديد من الصّور. إننا نشجّعكم على زيارة الموقع لتعريف أصدقائكم وزملائكم عليه.. وأودّ أن أتقدم بالشكر من الكنيسة الإنجيلية اللوثرية المتحدّة في ألمانيا (VELKD) لدعمهم لهذا المشروع الهامّ.

٩) موقع جديد للكنيسة على الانترنت

مع ازدياد في استعمال الانترنت محليًا وعالميًا قرّرت طائفنا أن تطلق موقعًا جديدًا يركّز على الخدمات الطائفية والذي يمكن الوصول إليه ليس فقط لأعضاء الكنيسة هنا، بل لأولئك الأعضاء الذين هاجروا، ولكنهم يريدون أن يبقوا على اتصال مع كنيستهم في الوطن. وسيكون الموقع:

www.bethlehemchristmaslutheran.org

أداة جيّدة لأصدقائنا والكنائس المشاركة في الخارج أيضا. نرجو أن لا تردّدوا في زيارة موقعنا.

١٠) بيت لحم تحت الحصار

لقد حاز كتابي الأخير «بيت لحم تحت الحصار: قصص عن الأمل في وقت الشدائد» جائزة الكتب من «مجلة الروحانية والصحة» «لمساهمته الاستثنائية في نهضة اليوم الروحي» وتمّ تصنيفه كواحد من أحسن خمسين كتاب روحي نشرت في الولايات المتحدة سنة ٢٠٠٤.



١١) الخاتمة

عند مباشرة مشاريع ومساع كثيرة في سياق اليأس الأكبر كهذا وعدم اليقين، عندها لا نفشل. حين يصبح المستحيل ممكناً فإن هذا بسبب أنه ثمرة عمل الكثير من أيادٍ معطاءة: عمدة كنيسة الميلاذ اللوثرية، ونائبي الاثنين، وموظفي التنسيق في دار الندوة الدولية ودار الكلمة، وأخيراً وليس آخراً، شركائنا. إننا جميعاً الذين نجعل هذه الإمكانيات التي لا حصر لها ممكنة بالرغم من تحديات عظيمة كهذه.

٢٠٠٦

انتخاب العمدة الجديدة

تمّ انتخاب العمدة الجديدة لمدة خمس سنوات في كنيسة الميلاذ اللوثرية في بيت لحم. فقد تمّ انتخاب كلٍّ من: السيّد هالة فضول، السيّد عادل ناصر، السيّد عيسى أبو غزالة، السيّد مازن عودة، السيّد طوني نصّار، السيّد عادل خضر كممثلين لكنيسة الميلاذ في المجلس الكنسي عن كنيسة الميلاذ اللوثرية.

كنيسة البشر لا كنيسة الحجر

تبنّى أعضاء العمدة شعار «كنائس البشر لا الحجر» كنقطة تركيز لمهمّتهم في السنوات الخمس القادمة.

الموسيقا

إيماناً منا بأنّ العبادة والتّسبيح هما من وسائل التّعبير عن محبّتنا لله؛ لذا تسعى الكنيسة أن تُلهمّ المصلّين من خلال موسيقا التّسبيح. وتتكوّن خدمة الموسيقا من خمسة طواقم تحت مظلة نجمة بيت لحم للموسيقا وهي: الجوقة للكبار، المرثمون الأطفال، جوقة الأجراس التي أنشئت سنة ١٩٩٦ وخماسي البيانو والفرقة الموسيقية.

ماثيو ميدلتون، وهو مواطن أمريكيّ هو منسق الموسيقا للكنيسة، ودار الندوة الدولية وكلّية دار الكلمة. فبعد تخرّجه بدرجة بكالوريوس في الموسيقا من جامعة تكساس في مدينة أوستن سنة ٢٠٠٣، حاز على بعثة الأرغن من كاتدرائية بريستول وكنيسة سانت ماري ريد كليف في بريستول في إنجلترا، وعن طريق توظيفه من قبل الكنيسة المشيخية (في الولايات المتحدة)، عمل ماثيو

كمتطوع شاب لمدة سنة في مصر في سنودس النيل وكنيسة القديس أندراوس المتحدة ومعهد اللاهوت الإنجيلي في القاهرة. وصل ماثيو إلى كنيسة الميلاد في آذار سنة ٢٠٠٦ بتعيين من الكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة، وأوكلت إليه مهمة إنعاش دور الموسيقى في كنيستنا. وهو يدرس حاليًا للحصول على درجة الماجستير في جامعة بوسطن.

خدمة أجيال

في شهر آب سنة ٢٠٠٦، بدأت خدمة أجيال بالتعاون مع دار الصحة المجتمعية لدار الكلمة تحت إدارة الممرضة رائدة منصور. وتُرَكز هذه المهمة على المواطنين من كبار السن من خلال الزيارات البيئية والبرامج الثقافية بما في ذلك تركيب شاحط لكراسي العجلات يؤدي إلى الكنيسة لكبار السن والمعاقين حركيًا. وبالرغم من حداثة تأسيسها تقدم أجيال خدماتها لأكثر من ١٨٠ عضوًا يتطوع بعضهم في الأدوار القيادية.



النشاطات النسوية

استضافت السيدة نجوى الراهب ثلاثة اجتماعات فطور لمناقشة قضايا نسوية، بالإضافة إلى الاجتماعات المنزلية للجنة السيدات وزيارات المرضى.

منسقة التربية المسيحية

تم تعيين الأنسة نيفين الصّراص كمنسقة للتربية المسيحية في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بالإضافة إلى تولي المسؤوليات الإدارية من السيد سامي أبو غزالة.

المؤتمرات

مؤتمر العائلة: عقد أول مؤتمر عائلي منذ سنة ٢٠٠٠ في ٣١ تموز حتى ٢ آب سنة ٢٠٠٦ في فندق في أريحا. وقد تركزت المحاضرات والتقاشات حول «هويتنا



الإنجيلية اللوثرية في السياق الفلسطيني)). وقد أُتحت الفرصة للمشاركين أن يكونوا صداقات وزمالة في بيئة مريحة أثناء مناقشة التحدّيات وحقائق أن تكون لوثرية في بيت لحم اليوم.

مؤتمر الشبيبة الجامعية: اجتمع طلاب الجامعة من ١٤-١٧ من شهر تموز سنة ٢٠٠٦ لمناقشة تطوير قادة الدين والمجتمع المستقبلين. وقد تمخض هذا اللقاء عن بداية اجتماع أسبوعي للقيادة الشابة. وقد تناولت المناقشات الأسبوعية مواضيع تتعلق بمرحلة المراهقة، بناء القدرات، وثقافة الكتاب المقدس.

اجتماع الأزواج الشابة: بدأت الأزواج الشابة بالاجتماع شهرياً في الكنيسة منذ ٥ تشرين أول سنة ٢٠٠٦ وذلك لمناقشة قضايا الزواج ومواضيع أخرى ذات صلة.

دروس الكتاب المقدس: أقيمت ثلاث جلسات لدراسة الكتاب المقدس. الأولى خلال فترة الصوم وتضمنت أربع دراسات كتابية عن الصيام، مريم العذراء من وجهة النظر الإنجيلية وعقيدة الثالوث. والثانية أقيمت في الصيف عن معنى النبوة وركزت على أسفار يونا وميخا وعوبديا ورسالة بطرس الثانية. وعقدت الجلسة الثالثة خلال فترة المجيء (الادفنت) وتناولت موضوع التجسد.

يوم الصلاة المسكوني: انضم راعي وعمدة كنيسة الميلاذ إلى الزملاء القادة المسكونيين في يوم صلاة خلال الأسبوع العالمي للوحدة الكنسية في الكنيسة الكاثوليكية في بيت لحم وذلك في ٨ شباط ٢٠٠٦.



الاحتفالات

أحد الشعانين: شارك أعضاء الكنيسة في مسيرة أحد الشعانين من بيت فاجي إلى القدس.

عيد الشكر: احتفلت الكنيسة بعيد الشكر مع الأطفال الذين صلّوا ورتّموا خلال الصلاة. وتلا ذلك وجبة غداء لأعضاء الكنيسة لتوطيد الصداقة والمودة بين أعضاء الكنيسة.



المجيء (الادفنت): أُقيمت عدّة لقاءات غداء خلال فترة الادفنت ومعها برامج متنوّعة وصلوات. وقد شملت العروض الظهور لأول مرّة لفرقة ترنيم نجوم بيت لحم في العاشر من كانون أول، وحفل عشاءٍ موسيقيًا لأعضاء مجموعة أجيال.

الزيارات: قام القسّ متري الرّاهب وأعضاء العمدة بأكثر من أربعين زيارة سنة ٢٠٠٦ لمناسبات متنوّعة.

إحصائيات

الأعداد	الحالة
5	المواليد
5	المعموديات
1	الجنّازات
7	أعضاء جُدد

٢٠٠٧

عن القيادة

«أنتِ تهتمّين وتضطربين لأجل أمور كثيرة، لكنّ الحاجة إلى واحد» (لوقا

(٤٢:١٠-١١)

لا يبدو أنّ هناك آيةً أخرى تشرّح وضعنا اليوم مثل هذه الآية. نحن مهمومون بالوضع السياسيّ وبشكل متزايدٍ من الاقتصاد مع خفض قيمة

الدّولار الأمريكيّ. نحن مشغولون بنشاطاتٍ وبرامجٍ ومشاريعٍ كثيرة، لكنّ هناك شيئًا واحدًا نحن في أمسّ الحاجة إليه وهو القيادة.

قد أصبحت هذه الحاجة في كنيسة الميلاذ اللوثرية أكثر وضوحًا لنا خلال السّنتين الماضيتين، وإنّ أعضاء كنيستنا وشعبنا بحاجة ماسّة ليس إلى تحليل سياسيّ أكثر، أو نشاطات اجتماعية. هم تواقون لأن يُقادوا، ومتلهّفون أن يُدرّبوا على تولّي القيادة، إنهم ينظرون إلى مساهمة من طرفنا، ويريدون أن تُمنح لهم السّلطة ليتمكّنوا من الخدمة. إنهم متلهّفون أن يلتقوا بقيادة ذوي رؤيا، وأن يُلهموا بواسطة نماذج يُحتذى بها، إنهم ليسوا بحاجة إلى شيء أقلّ من الاهتمام التّام. والذي نحتاج إليه هو هيكله وقتنا وخدماتنا ومهاراتنا بطريقة تُمكننا من أن نغذيها خطوة خطوة، وشخصًا شخصًا، وفريقًا فريقًا. وها هي بعض البرامج التي كنّا نعمل على تطويرها في الكنيسة والمركز في بيت لحم من خلال هذه البحث عن القادة.

(١) خدمة دروس الكتاب المقدّس

إذا كنّا نوئم حقًا بكنهوت جميع المؤمنين فعلينا إذاً واجبٌ مُهمٌّ في تعليم جميع أعضاء كنيستنا بالكلمة، حتّى ينموا إلى المألّ ويعرفوا عمق وعظم إيماننا بالمسيح. ومن أجل ذلك فقد طوّرنا مساقات دروس الكتاب المقدّس ثلاثية الفصول تعمل سنويًا: واحد يُركّز على التّفسير، وآخر على تاريخ الكنيسة، وثالثٌ يتعلّق بمسائل الإيمان. وهذه المساقات محبوبة وتعطي الأعضاء الشّعور بأنهم ينمون بالمعرفة والحكمة ببطء، ولكنّ بشكلٍ مُؤكّد.

(٢) التّدريب على القيادة

تجتمع كلّ يوم أربعاء مجموعة من حوالي ٢٥ شابًا وشابّة، تتراوح أعمارهم بين ٢٢-٣٠ سنة في دار التّدوة الدوليّة، نصفهم من أعضاء الكنيسة والنّصف



الآخر من موظفي ديار. ونقوم بدروس الكتاب المقدس وناقش القضايا الاجتماعية، ونقابل قادة حقيقيين، ونماذج يُحتذى بها وتتعلم مهارات قيادية متقدمة.

٣) لجنة أجيال الاستشارية

إن برنامج أجيال هو برنامج فريد من نوعه للعناية بكبار السن في منطقة بيت لحم، ويضم في عضويته حوالي ٧٨٠ شخصاً، بالإضافة إلى مديرة البرنامج والمرضات، مجموعة من ١٢ عضواً من المتطوعين كبار السن، يعملون كمستشارين في تصميم وتطبيق وتقييم البرنامج. ونعقد مؤتمراً تدريبياً لهذه اللجنة مرة في السنة ليمكنوا من تطوير مهاراتهم والمساعدة في إدارة هذا البرنامج.

٤) برنامج أزواج لتربية الأطفال

إن برنامج أزواج هو برنامج رائد فريد من نوعه للأزواج الشابة ليساعدهم على مهارات تربية الأطفال. إن تربية الأطفال ليست بالمهمة السهلة في هذا



السياق، وتحمل مسؤولية الأجيال القادمة. فالأزواج الشابة، وغالبا ما يكونون من خريجي الجامعات، تنقصهم الخبرات الأساسية والنماذج التي يُحتذى بها في تنشئة الأطفال، وإدارة المنزل. وهذا شكل آخر من أشكال التدريب على القيادة والمهم جداً والذي ينقصنا.

٥) أكاديمية المسيحي العلماني

ليس لدينا في كنيستنا ما يكفي من القادة المؤهلين لمدارس الأحد واجتماعات الشبيبة كي يُصبحوا قادة علمانيين. وهذا في الواقع واحد من أكبر التحديات التي تُواجهها كنيستنا اليوم وهو مهم جداً لها؛ ليس لأن تبقى فقط، بل لتزدهر أيضاً. إن أكاديمية المسيحي العلماني هي مشروع رائد لثلاث سنوات. وتتضمن كل سنة ست نهيات لأسابيع من الدراسة من ضمنها: مساق

لمدة أسبوع من الدراسة المكثفة خلال الصيف. لذا لكل سنة برنامجها الخاص وخطتها الخاصة. والمجموعة المستهدفة هي قادة المستقبل المحتملين من الشباب من الكنائس اللوثرية في فلسطين. و بانتظار التمويل اللازم على أمل أن نبدأ هذا المشروع الرائد هذا الصيف.

٦) معهد القيادة في كلية دار الكلمة

إن معهد القيادة مكرس لتحديد وتحفيز وتجهيز الجيل القادم من الفلسطينيين (والفلسطينيين المسيحيين بشكل خاص) كي يتولوا القيادة المستقبلية لقطاعات فلسطين العامة والخاصة وغير الربحية، والمؤسسة على الإيمان من خلال نظام شمولي ومُتكامل لتطوير المصادر البشرية، والمهارات المتخصصة المتقدمة.

يأتي المعهد كاستجابة لحاجة أخرى لقادة لديهم تدريب خاص لقيادة المؤسسات والبرامج. فإذا كان لديك مركز شاغراً لمدير مدرسة أو مدير لبرامج الشباب أو النساء، أو مديرين لبرامج اجتماعية، وكنت تبحث عن قائد متخصص ذي حس مسيحي للمهمة والالتزام، فإنك ستبحث عبثاً، فمثل هؤلاء غير موجودين تقريباً.

نحن في دار الكلمة بصدد تطوير شهادة معتمدة تتضمن:

- أ) التدريب والتعليم في المجالات الواسعة:
 - النمو والتطور الشخصي (توراتي، نفسي، اجتماعي، عاطفي، روحي ورفاهي).
 - القيادة الإدارية ومهارات التواصل.
 - التدريب المُخصَّص للتوظيف في القطاعات المختلفة: (الإعلام، تكنولوجيا المعلومات، مديري المدارس، النساء، رجال الدين، الصحة، السياحة والمؤسسات غير الحكومية)

ب) المكونات الخاصة:

- مراقبة وتدريب عن طريق لقاء قادة مسيحيين حقيقيين من قطاعات متنوعة محلية وأجنبية.
- فترة تدريب على قيادة المكاتب المحلية والأجنبية، والشركات والمنظمات.

ج) يجري البحث في المشاركة مع كليات وجامعات أميركية وأوروبية لئلا إذا كان بالإمكان اعتمادها لدرجة الماجستير.

إن التأكيد على القيادة أولوية قصوى بالنسبة لي. وحتى أتمكن من الالتزام به، فقد كان عليّ أن ألغى قبول أية دعوات للتكلم في الخارج. فإذا كنا ككنيسة إنجيلية لوثرية في الأردن والأرض المقدسة ولجنة التنسيق للتعاون (COCOP) قادرين على الاستثمار في هذا المجال فأنا أرى في الأفق فرصاً لا نهاية لها بانتظار أن يتم اغتنامها كي تُؤتي ثمرًا كثيرًا مجده وفي خدمة مجتمعنا.

٢٠٠٨

«أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يوحنا ١٠: ١٠)

سنة أخرى مضت وقد بدأت بالكثير من التوقعات العالية بأن تكون السنة التي تقوم فيها الدولة الفلسطينية، ولكنها انتهت بمرارة بالحرب على غزة. ومع ذلك فإننا لم نكن نضع ثقنا «بالمُتحدثين عن السلام» ولا تثينا الحروب عن رؤيتنا بأن شعبنا ستكون له الحياة وتكون لهم أفضل. ففي خدمتنا في الكنيسة وفي ديار كان لدينا خمسة مواضيع نركز عليها لسنة ٢٠٠٨ وأود أن أسلط عليها الأضواء في تقرير هذا العام.

(١) التدريب على القيادة

كما تمت الإشارة إليه في السنة الماضية، فإن القيادة هي واحدة من أهم مجالات التركيز الآن. إن برنامج القيادة يسعى لتحديد وتحفيز وتجهيز الجيل القادم من المسيحيين الفلسطينيين كي يتولوا القيادة المستقبلية لقطاعات فلسطين العامة والخاصة غير الربحية والمؤسسة على الإيمان. يوجد الآن ثلاثة برامج تعمل منذ أكثر من سنة، مُستهدفةً الشباب من منطقة بيت لحم الكبرى والطلاب المسيحيين من القرى النائية والبلدات الصغيرة، ومعلمي مدارس الأحد والقيادة الشابة في كنيسة الميلاذ اللوثرية. سنة ٢٠٠٨ أُتيحت للمشاركين في برنامج القيادة الشابة فُرصٌ كي يتعلموا من رجال أعمال بارعين وأكاديميين، وأن يتلقوا تدريباً في مجالات عديدة، ويحضرُوا اجتماعاتٍ ومؤتمراتٍ من ثقافاتٍ مختلفة. وستبدأ قريباً ثلاثة برامج قيادة ترفع العدد الإجمالي إلى ١٥٠ شاباً وشابة. وسيستهدف أحدها القادة المستقبليين المحتملين من الشباب للأطفال وخدمة شبيبة طوائف الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن وفلسطين ككل. وآخر سوف يطال فريقاً جديداً من القادة المسيحيين المحتملين من الشباب من مناطق بعيدة في الضفة الغربية، وثالث سيكون فريقاً مسيحياً إسلامياً مشتركاً.

(٢) دراسات وأبحاث ومنشورات

• المسيحيون الفلسطينيون: حقائق وأرقام وتوجهات

يمكن أن توجد العشرات ومن المحتمل المئات من المصادر عن المسيحيين الفلسطينيين سواء على الانترنت أو في المنشورات. وعلى أية حال فإنه يمكن اعتبار القليل فقط منها شاملة وحديثة عن وضع المسيحيين الفلسطينيين اليوم. ولقد أكد ذلك مسحٌ حديثٌ أجرته مجموعة ديار بالاشتراك مع مركز ما بين الكنائس المقدسي والتجمع الوطني للمؤسسات المسيحية. وقد أدركت ديار أن الحاجة ماسة لمصدر كهذا، وشرعت في عملٍ منهجيٍّ لبناء قاعدة بيانات

متماسكة عن المسيحيين في فلسطين. إن خلقَ ونشرَ قاعدة بيانات يتم تحديثها باستمرار كهذه هو حجر الأساس الضروري في تطوير رؤيا مشتركة شاملة ومسكونية للدعم المسيحي في فلسطين. لكي تتمكن المسيحية من أن تستمر وتزدهر. وإنه ليسرنا حقاً أن يتوافر لدينا مثل هذا المنشور الآن في وقت زيارة البابا. إذ إنه يحتوي أشكالاً متنوعاً من المعلومات والإحصائيات والخرائط والقوائم بالإضافة إلى دليل.

• المنهاج الجديد لمدرسة الأحد: «علمني طريقك»

منشور جديد مهمٌ متوفرٌ لمعلمي مدرسة الأحد؛ هو المنهاج الجديد بالعربية وعنوانه «يا رب علمني طريقك» وهو يحتوي على خمسين جلسة لصفوف مدرسة الأحد ويتضمن ألعاباً ونشاطاتٍ تتمشى مع مواضيع الدروس. وهذا المنهاج قد طوّره (مروى ناصر) مديرنا للتربية المسيحية والرعاية. هناك كتابان آخران لمئة صفٍ أخرى يجري العمل عليهما. وهذا المنهاج هو الأول من نوعه هنا في فلسطين، وفي أحد طوائف الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن والأرض المقدسة.

• «هديتي لكم هي الرجاء:

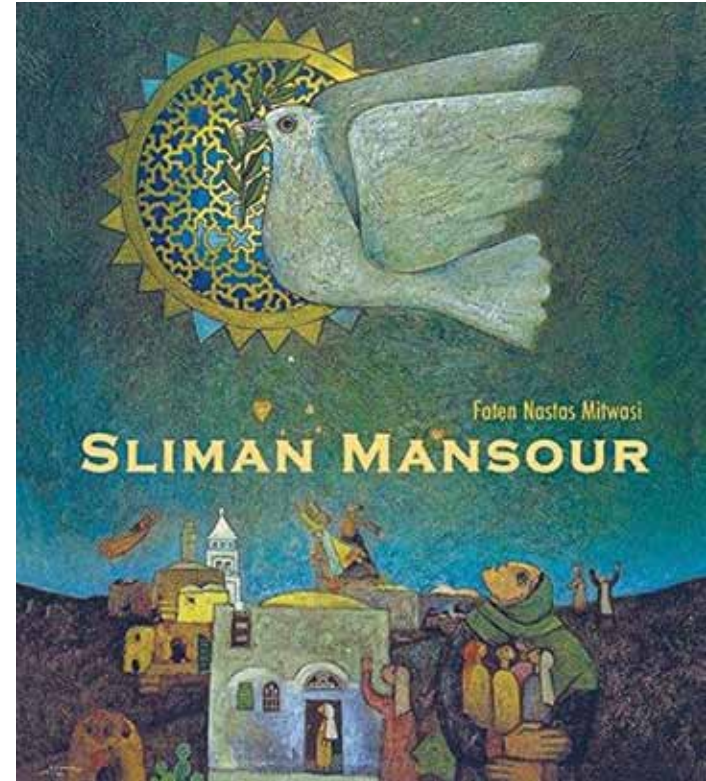
حياة ومساهمات القس باسم خليل نجم ١٩٢٧-١٩٨٣»

في سنة ٢٠٠٢ تمكنت كنيسة الميلاذ اللوثرية من نشر السيرة الذاتية للمرحوم المطران نعيم نصار تحت عنوان «أبو اليتامى». وبنفس الروح يسرنا أن نتمكن من نشر كتابٍ آخرٍ يُصور أحد القادة العظام للكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن والأرض المقدسة، القس باسم نجم. لقد خدم القس نجم كنيسة الأمل الإنجيلية اللوثرية في رام الله لأكثر من ربع قرن. وقد أعطى أفضل سنوات عمره لكنيستته ولدينته ولبلده. وقد شجعتُ ابنه فؤاداً، وهو صديق لي، على كتابة هذا الكتاب. ولقد شعرت بسعادة غامرة وأنا أراه مُكبّاً على تصوير رؤية ورسالة

القسّ نجم. وهذه هي هديتنا للكنيسة كلّها، ومن خلالها نتذكّر قادتنا أولئك الذين تكلموا لنا عن كلمة الله. إننا نقدرُ نتاج حياتهم ونقلدُ إيمانهم.

• «سليمان منصور»

وكتابٌ مهمٌّ آخرُ نشرته دار الندوة الدوليّة بالتعاون مع جمعية القدس، بلغات ثلاث هي: العربيّة والإنجليزيّة والألمانيّة يُصوّر أعمال أحد فناني فلسطين البارزين والمعاصرين، وهو لوثرنيّ من القدس: سليمان منصور. لقد اكتشفتُ موهبته في المدرسة هنا في بيت لحم في أوائل الستينيات ثمّ عُرضت رسوماته في جميع أرجاء العالم. وقد كتبتُ هذا الكتاب السيّدة فاتن نسطاس متواسي رئيسة دائرة الفنون التشكيلية في كليّة دار الكلمة.



(٣) المؤتمرات

• بالجسد، نحن نحيا بالروح

تحت هذا العنوان تجمّع ٢٥ زوجًا وزوجة مع أطفالهم لمدة ثلاثة أيام في أريحا لرياضة روحية تركّزت على البعد الروحي للجسد. وقد عقدت سلسلة من دروس الكتاب المقدّس ومحاضرات وورشات عمل، وكان هناك كذلك وقت للعبادة والصلاة ولالألعاب أيضا. إنّ مثل هذه الرياضات الروحية مهمة لبناء جسد المسيح.

• مؤتمر الدين والدولة

عقدت دار الندوة الدوليّة بدعم من مركز أولوف بالمه الدوليّ (Olof Palme International Center) وبالتعاون مع المؤسسة الدوليّة لحزب المركز مؤتمرا إقليميا في اسطنبول من ١٤-١٧ كانون أول على قضية الدين والدولة. إنّ مدى أهميّة ومناسبة هذا الموضوع في الشرق الأوسط تتضح حين يعلم المرء أنّ:

- الشرق الأوسط يحتلّ على الصّعيد الدوليّ المكانة الأخيرة في فصل الدين عن الدولة.
- ليس هناك فصل بين الدين والدولة في الدول العشرين في المنطقة.
- الإسلام هو دين الدولة في ١٧ من ٢٠ دولة.
- تمنع ١٩ دولة التبشير بالإنجيل وتعدّ ١٤ دولة تغيير الدين جريمة.
- تمنع ١٢ دولة منشورات للمجموعات والأقليات الدينيّة.
- تمنع ١٥ دولة تشريع الأحزاب الدينيّة وممارستها.
- تمنع ستّ دول بيانات الأقليات من المواطنين، ودولة واحدة لا تعترف إلاّ بديانة واحدة.

• وفي قلب هذه المنطقة هناك ثلاث دول لها رابطة خاصة مع الدين: العربية السعودية، وهي الأقرب من وجهة نظر عالمية أن تكون حكومة دينية، إيران التي تُعرّف نفسها على أنها دولة إسلامية وإسرائيل التي تُعرّف نفسها على أنها دولة يهودية.

وقد تمّ اختيار المشاركين عمداً ليمثلوا قطاعاً واسعاً من الآراء ووجهات النظر السياسية والدينية. وقد تمت دعوة عشرين مديراً ومديراً تنفيذياً من معاهد شرق أوسطية تعمل في مجال التربية تمكّن ١٤ منهم من الحضور. وجاء المشاركون العرب من خمس دول هي: فلسطين (٧+٣ من الموظفين)، مصر (٥)، الأردن (٥)، لبنان (٢)، وسوريا (١). وكان نحو ثلث المشاركين من النساء، وأكثر من النصف كانوا من المسلمين: تسعة سُنيّين، شيعي واحد، ودرزي واحد، وكان بين المسيحيين أربعة أرثوذكسيّين (روم، أرمن، أقباط) وخمسة من البروتستانت (لوثرين ومعمدانين) وكاثوليك واحد.

• اختراع التاريخ

تُخطّط دار الندوة الدولية في بيت لحم أن تعقد مؤتمرها الدولي القادم تحت عنوان «اختراع التاريخ: قرن من التفاعل ما بين اللاهوت والسياسة في فلسطين» في بيت لحم من ٢٣ آب حتى ٢٩ آب ٢٠٠٩.

في هذا المؤتمر سوف ينتقل التركيز من فهم نصّ الكتاب المقدس بحدّ ذاته إلى فحص كيف كان اللاهوت يتطوّر بالنسبة لسياسات الشرق الأوسط بشكل عام، وأرض فلسطين التاريخية بشكل خاصّ خلال المئة سنة الماضية. وسيأخذ المؤتمر كمعيار ثلاثة تواريخ هامة وهي: سنة ١٨٩٧ حين عقد المؤتمر اليهودي الأول في بازل في سويسرا والذي تمّ خلاله تشكيل المنتدى الصهيوني وتأسست المنظمة الصهيونية العالمية. وسنة ١٩٤٨ التي شهدت قيام دولة إسرائيل وتشريد حوالي ٧٥٠,٠٠٠ فلسطيني من أراضيهم، وجعلت أكثر من نصف

الفلسطينيين لاجئين، وسنة ١٩٦٧ التي شهدت الحرب العربية الإسرائيلية والتي نجم عنها احتلال الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة. وسيحلل المؤتمر أيضاً الاتجاهات الرئيسة في اللاهوت اليهودي والألماني والاسكندنافي، والجنوب أفريقي وأمريكا اللاتينية.

٤) كلية دار الكلمة

من أبرز أحداث سنة ٢٠٠٨ تخريج الدفعة الأولى من طلاب برنامجي صناعة الأفلام الوثائقية وفنّ الزجاج والسيراميك، واعتماد برنامجين جديدين في الأداء الموسيقي والأدلاء السياحيين الفلسطينيين. بالإضافة إلى ذلك؛ ففي سنة ٢٠٠٨ تمّ تأسيس وحدة تأكيد الجودة من خلال برنامج مشترك مع كلية طاليطا قومي المجتمعية والذي مولها البنك الدولي. وكجزء من المشروع سيتمّ سنة ٢٠٠٩ تمويل ورشات عمل تدريبية موجهة نحو رفع القدرات الإدارية للكلية.



يأتي الطّالِب إلى دار الكلمة من الشّمال حتّى رام الله، ومن الجنوب حتّى الخليل، وأغلبيتهم من محافظة بيت لحم. وفي النّصف الأوّل من السّنة كان معظم طّالِب برنامج الأفلام من الخريجين الجُدّد من المدارس الثّانويّة أو الجامعة، وكانوا كلّهم طّالِبًا بدوام كامل، لكنّ في برنامج الزّجاج والسيراميك كانت غالبيّة الطّالِب من النّساء الكبيرات في السّن اللّواتي كُنّ يبحثنّ عن مهنة جديدة، وقليل منهنّ كُنّ يدرسنّ على أساس الدّوام الجزئيّ.

وفي العام الدّراسيّ ٢٠٠٨/٢٠٠٩ كانت غالبيّة الطّالِب الجُدّد تحت سن الـ ٢٥ وقد تقدّموا بطلبات التحاق، وتمّ قبولهم في برامج الفنون التشكيلية المختلفة. وعلى أيّة حال؛ ففي برامج السّياحة كانت نسبة الطّالِب الكبار إلى الطّالِب حديثي التّخرج ٣٧ إلى ١٤.

ومن ناحية أخرى، ومن أجل سدّ الاحتياجات المتزايدة النّاجمة عن ازدياد عدد الطّالِب والهيئة التّدرسيّة في كليّة دار الكلمة، يجري الآن بناء منشأة جديدة في الحرم الجامعيّ لكليّة دار الكلمة الذي يقبع على قمة جبل مرير من النّاحية الجنوبيّة لبيت لحم.



إنّ مشروع بناء كليّة دار الكلمة هو من أكبر مشاريع البناء في بيت لحم منذ الانتفاضة الأولى، وعند إتمامه ستضمّ عمارة الكليّة خمسة طوابق من الصّفوف ومساحاتٍ للمشاعل، ومختبرات الحاسوب، وأماكن العرض.

هذه التّسهيلات سوف تُمكن الكليّة من أن تنمو إلى معهد للتّعليم العالي من الدّرجة الأولى حقًا. إنّ هيكل العمارة الجديدة يقارب من الانتهاء وأعمال التّشطيب من الخارج تسير سيرًا حثيثًا. ومن ناحية أخرى، فإنّ العمل على المناظر الطّبيعيّة في الخارج مستمرّ كما هو مخطّط له. «جنّة»، المتنزّه الأوّل من نوعه ومحميّة طبيعيّة تأخذان شكلهما يوما بعد يوم. وفي حين أنّه يتوقّع أن تُفتّح «جنّة» في شهر أيار من العام ٢٠١٠، فإنّ الكليّة ستفتّح أبوابها حسب البرنامج في أيلول لبدء العام الدّراسيّ ٢٠١٠/٢٠١١.

٥) دار البلد

إنّ أحدث إضافة إلى مجموعة ديار هي دار البلد، وهي عبارة عن بيت تمّ ترميمه حديثًا، وبشكل جميل في وسط مدينة بيت ساحور القديمة. فقد ساهمت الوكالة السّويدية العالميّة للتّعاونيّة للتّطوير (سيدا) بتكاليف ترميمه وتبرّعت القنصليّة الفرنسيّة بتكاليف تأثيثه الرّائع. وتمّ تسليم العمارة - التي أصبحت دار البلد - إلى إدارة ديار في أوائل سنة ٢٠٠٨، وقد تمّ الاحتفال بافتتاح المطعم والمعرض بتاريخ ١٦ تمّوز. وكان الهدف من المركز أن يجلب لبلدة بيت ساحور القديمة فلسفة ديار «لتكون لهم حياة وتكون لهم أفضل».

إنّ مهمّتنا هناك أن نخلق حياة في المدن التي لا حياة فيها وأن نُحوّل الطّرق القديمة المعتمة إلى مساحات منيرة للغد، وأن نُقدّم للناس رؤية جديدة للبيوت القديمة. وعن طريق تقديمنا خدمات حديثة في مركز المدينة القديمة فإنّنا نخلق طريقة جديدة للحفاظ والاعتزاز بتراثنا.

٢٠٠٩

«ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فيأياه أعطيك. باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش». (أعمال الرسل ٦: ٣)

لدينا في فلسطين معونات إنسانية أكثر من اللازم ولكن «القليل جدًا من دعم التمكين»، والمشكلة أن معظم الدعم الذي نتلقاه كفلسطينيين يذهب بشكل رئيس لإصلاح الضرر الناجم عن الاحتلال الإسرائيلي المستمر.

ولو استغلّت هذه الأموال لتمكين مجتمعنا؛ لأصبحت فلسطين اليوم تشبه هونج كونج. وليس للخدمات الكنسية للإغاثة إذا ما فهمت بالشكل الصحيح أية علاقة بالحسنة، لكنها لتمكين المجتمع من الوقوف على قدميه كي يمشي ويمارس مسؤولياته. لقد كان هذا مفهومنا في كنيسة الميلاذ اللوثرية منذ البداية. ولهذا السبب لم نرد أن يكون لدينا «محطة اجتماعية» توزع ذهبًا وفضة»، أرزًا وزيتًا وحبونات أو دفعات شهرية.

إن هذا النوع من الخدمة يُبقي الناس سلبين ويجعلهم عالة، وفي نهاية المطاف مُستعبدين. وكنيسة صغيرة في بيت لحم ليس لنا «فضة وذهب»، حتى لو كان لدينا، فإن مهمتنا في الخدمة الكنسية للإغاثة هي ليست أن نعطي الفقير «سمكة» (ولكن خلق الإطار، وأن ندرّبهم على صيد السمك حتى يستطيعوا أن يعتمدوا على أنفسهم. وهذه ليست نظرية تتمسك بها، ولكنها لاهوت وُضِع موضع التنفيذ بالطريقة التي نقوم بها بخدمات الإغاثة الكنسية.

أمثلة قليلة عن عملنا في بيت لحم توضّح ذلك:

(١) برنامج أجيال لكبار السن

ابتدأ برنامج أجيال لكبار السن سنة ٢٠٠٦ للوصول إلى قطاع مهم من المجتمع. وقد بدأنا مع ١٤ عضوًا في كنيستنا وبركات الرب نستطيع اليوم أن

نخدم حوالي ٥٠٠ من الأعضاء المسجلين. وعندما نظرنا إلى بعض برامج الكبار التي كانت موجودة آنذاك وجدنا أن معظم تلك البرامج تُحضر الناس للموت. فقد كانت تقيس ضغط الدم للكبار وتقوم ببعض الفحوصات الطبية، وتزوّدهم بوجبات طعام، وقد فاتهم أن يعطوهم الشعور بأن هنالك حياة كثيرة بعد سن ال ٦٥.

خلال السنوات الثلاث الأخيرة من عملنا، أصبح كبار السن التابعين لنا أكثر نشاطًا: دروس الكمبيوتر المجانية، يجتمعون ليكتبوا كتبًا تركز على أيام زمان، ويُعطون شهادات لأحفادهم، يكتشفون مواهبهم ويُشكلون فرقة ترتيل، ويكتبون ويمثلون روايات، ويشتركون في دروس اليوغا. وفي السنة الماضية ساعدوا في إنتاج أول برنامج تلفزيوني عن كبار السن تم عرضه في العالم العربي. وقد تألف هذا العرض من ١٤ حلقة أتجه مركز إعلام بيت لحم التابع لنا، وتم بثه على فضائية القناة السابعة بمعدل ثلاث حلقات أسبوعيًا. والشيء المهم في هذا البرنامج أن المستفيدين أنفسهم، أي كبار السن، هم جزء لا يتجزأ من هذه العملية كلها. فهم يشاركون في التعبير عن احتياجاتهم، وفي تصميم البرنامج وتقييم تأثيره.

ومع ذلك فإن هذه المعرفة والدراية التي تم اكتسابها وتطوّرت عبر السنوات الماضية هي شيء لا نريد الاحتفاظ به لأنفسنا، ولكن نريد أن نشارك به الآخرين، ومن أجل ذلك بدأنا في تقديم التدريب المستمر للاختصاصيين الاجتماعيين والمرّضات من سائر أرجاء الصّفّة الغربية، وبنينا القدرات ونقدّم الاستشارات والخدمات المتخصصة. إن برنامج أجيال لم يعد مجرد برنامج لكنيسة الميلاذ اللوثرية وحدها، لكنه أصبح نموذجًا يُحتذى به طول البلاد وعرضها. هذي هي خدمات الإغاثة الكنسية.

(٢) من تقديم الخدمات إلى تدريب المدربين

إننا نبتعد أكثر وأكثر عن كوننا مجرد مُزوّدين بخدمات للتطوير إلى كوننا مُزوّدين بالتدريب للمدربين. وخير مثال على ذلك هو التدريب الاحترافي الذي

قدّمناه خلال السنتين الماضيتين بالتعاون مع «أجنحة الأمل» للاختصاصيين الاجتماعيين الذين يتعاملون مع اضطرابات ما بعد الصدمة. وهكذا كانت الخدمات الكنسية للإغاثة بالنسبة لنا هي تمكين الآخرين أن يمتدّوا ويخدموا. وتعني لنا خدمات الإغاثة الكنسية أيضا مرافقة الاختصاصيين الاجتماعيين الذين تدربوا أثناء تقديمهم المشورة للطلاب والعملاء... الخ، ونقدّم لهم المساعدة اللازمة التي يحتاجون إليها والتدريب على الوظيفة.

٣) التدريب المهني كخدمة كنسية للإغاثة

أذكرُ في السنوات الأولى عندما كانت عائلة أو عائلتان تتقدّمان بطلبات دعم من الكنيسة وتطلبان المساعدة. وكانتنا حقًا من بين أفقر العائلات في كنيستنا، وأذكرُ أنه في أحد اجتماعات عمدة كنيستنا أننا وافقنا جميعا أن هذا الوضع غير قابل للاستمرار. فإنه ليس بإمكاننا ككنيسة أن نستمرّ بدعم عائلة واحدة. ولا نظنُّ أن هذا يليق بكرامة العائلات أنفسهم، كما وأنه ليس لدينا المال اللازم لنستمرّ في عمل ذلك. فدعوت الزوجة وشجعته أن تسجّل نفسها في أحد



مساقات التدريب التي كُنّا نُقدّمها في الرّجاج والسّيراميك. فحضرت المساقات وتخرّجت واكتشفت أن لديها مواهب يمكنها أن تستغلّها. وقد تطوّرت هذه المرأة الآن لتصبح سيّدة أعمال. وقد وظّفت الآن امرأتين أخريّين لتساعداهما. ولديها الآن دخل يُعادل ثلاثة أضعاف دخل زوجها. وبممكنك أن تشعر كم هي فخورة لأنّها تحيا حياة كريمة بعرق جبينها. ولغاية الآن فقد ساعدت كليّة دار الكلمة ٤٦ امرأة من أفقر العائلات في أن يُعلنّ أنفسهنّ. هذي هي الخدمات الكنسية للإغاثة.

٢٠١٠

لقد كان هناك إهتمام دائم في قطاع الإتصالات في كنيسة الميلاذ اللوثرية. ولا زلت أذكرُ الوقت الذي حصلنا فيه على آلة الفاكس الأولى، والتي لم يكن يوجد الكثير منها بعد في البلاد. ولا زلت أذكرُ عندما أطلقنا صفحتنا على الانترنت، قد كُنّا من بين الأوائل في فلسطين. ولا يزال الكثير من الأصدقاء يذكرون نشرتنا الإخبارية والصّور التي اعتدنا أن نرسلها على أساس منتظم لإيصال قصّتنا إلى العالم الخارجي وإلى الأصدقاء في سائر أرجاء المعمورة، خصوصًا إبّان اجتياح بيت لحم سنة ٢٠٠٢. فقد كانت هذه الصّور والنّشرات الإخبارية هامة في كشف التّقاب عن الاحتلال وإنهاء الحصار المفروض على بيت لحم.

ومع ذلك فقد يتساءل البعض عن أسباب صمّتنا مؤخرًا. لماذا لم نعد نُرسل أية نشرات إخبارية كما كُنّا، وفي الحقيقة يمكن للمرء أن يلاحظ نقلةً في كل من كنيسة الميلاذ اللوثرية وديار، في كيفية إيصال قصّتنا في الوقت الحاضر. قبل بضع سنوات انتقلنا من التّركيز على التّواصل مع العالم الخارجي إلى التّواصل مع مجتمعنا. وهذا يبدو جليًا حين يفحص المرء الطّريقة واللّغة والمضمون اللّواتي يتمّ التّواصل بها.

إنّ قناعتنا هي: ما الفائدة لمؤسسة إذا ربحت العالم كلّه وخسرت قاعدة مجتمعها؟
ولسوء الحظّ فإنّ معظم المؤسسات اليوم منشغلة في مخاطبة العالم، وتفوّت تغذية
شعبها في حين أنّ تركيزنا هنا في كنيسة الميلاذ اللوثرية وديار يستمرّ على مجتمعنا.
ونجد اليوم في بيت لحم ثلاثة مستويات للتواصل:

المستوى الأول: الطائفة

(١) العظات: كلُّ عظة أعظها يوم الأحد تنزل على موقعي على الانترنت في
اليوم التالي حتّى يستطيع أعضاء الطائفة المقيمون والمسافرون والأصدقاء
والموظفون... الخ، أن يرجعوا إليها ويقرأوا الكلمة التي تمّ وعظها. وعنوان
صفحتي هو: www.mitirraheb.org

(٢) صفحة التواصل الاجتماعيّ (Facebook): لقد تمّ فتح هذه الصفحة سنة
٢٠١٠ بالتزامن مع يوبيل ال ١٥٠ سنة لطائفنا بأكثر من ٤٠٠ عضو وبعض
الأصدقاء.

الرّجاء ابحث عن: Bethlehem Christmas Lutheran على صفحات
التواصل الاجتماعيّ (facebook)

(٣) You Tube: عدّة عظات ومحاضرات... الخ يجري تحميلها على ال (You
Tube) والتي يمكن تنزيلها من أيّ مكان في العالم. وعلى سبيل المثال يمكنك أن
تشاهد درس الكتاب المقدّس عن متى ٥:٥ على:
<http://www.youtube.com/watch?v=yin0avg5uEK>

(٣) البثّ المتزامن: (simulcast): تعاونت كنيسة الميلاذ اللوثرية للسنة الثالثة
على التوالي مع كاتدرائية واشنطن الوطنية في البثّ المتزامن لخدمة عيد الميلاذ
المشتركة على الانترنت، بثّ حيّ ومباشر، إرسال واستقبال.

المستوى الثاني: إنتاج ديار الإعلام

خلال سنة ٢٠١٠، باشر مركز ديار للإنتاج الإعلاميّ والذي كان معروفًا
في السابق باسم مركز إعلام بيت لحم في تعزيز نوعية إنتاجه بأن شرع في اتباع
أساليب جديدة في الإنتاج كما في السنوات السابقة. ففي الوقت الذي فيه
صناعة الإعلام المرئيّ والمسموع الفلسطينيّة صناعة مكافحة ومحدودة جدًّا من
حيث التوعية والأسلوب والكميّة، فإنّ إنتاج ديار للإعلام استطاع أن يرفع
المستويات وأنّ ينتج فيديوهات حازت على جوائز، وبرامج عالية الجودة تعتبر
الأولى من نوعها في فلسطين.

(١) العرض التلفزيوني: سنة ٢٠١٠ أنتج مسلسل «لو كنت مكاني»، وهو عبارة
عن مسرحيّة هزليّة تفاعليّة من ١٢ حلقة مدّة كلّ منها ٤٥ دقيقة تتحدّى الاتّجاه
السائد لدورِ وصورة المرأة في الإعلام العربيّ، ويسعى إلى تعزيز المساواة بين
الجنسين في كلّ مناحي الحياة عن طريق استخدام الفكاهة. وقد تمّ بثّه على
فضائيّة القناة السابعة، وزاد عدد مشاهديه على ثمانية ملايين شخص من سائر
أرجاء العالم. وللحصول على نسخة عن برنامج «لو كنت مكاني» التلفزيوني
الرّجاء زيارة الموقع: www.bethlehemmedia.com

(٢) رزنامة الادفنت الإلكترونيّة: بالتعاون مع أبرشيّة فاستيراس (Vasteras) في
السويد، قام مركز إعلام ديار للإنتاج الإعلاميّ بإنتاج ١٤ مقطعًا تلفزيونيًّا مع
الأطفال والشبيبة الفلسطينيّة. كلّ يوم من أيّام الادفنت كان يتمّ بثّ مقطع صغير
تشارك فيه إمّا الشبيبة الفلسطينيّة أو السويديّة برسالة صغيرة ذات مغزى عن
آمالهم ومخاوفهم وأحلامهم ومشاعرهم عن عيد الميلاذ ومدّيتهم. تابع رزنامة
الادفنت الإلكترونيّة على: www.bygggenbro.com

(٣) وسائل الإيضاح والموادّ المرجعيّة: في سنة ٢٠١٠، أنتج مركز ديار للإنتاج
الإعلامي ٣٧ مقطع فيديو قصيرًا، وكُتبًا و موادّ أخرى لتستعمل كوسائل إيضاح

ومواد مرجعية للمعلمين والمدرّبين. وهي تركز على قضايا المجتمع المدني وقد تمّ وضعها على الانترنت لجعلها في متناول الجمهور.

http://www.diyar.ps/index.php?option=com_content&view=section&id=8&Itemid=43

المستوى الثالث: كَلِيَّة دار الكلمة

لقد اختارت كَلِيَّة دار الكلمة منذ البداية أن يكون أحد المواضيع التي تركز عليها هو الإعلام والاتصالات بهدف تدريب الشباب أن يوصلوا الجانب الإنساني من القصة، وهكذا يصبحون أدوات تغيير في المجتمع. إنه لشيء عظيم أن نرى أفلام طلابنا تُعرض في مهرجانات الأفلام في بوسطن وسان فرانسيسكو وبروكسل وطوكيو ودبي وغيرها. وقد فازت عدّة أفلام بجوائز ومكافآت إقليمية وعالمية. ومن هذا المنطلق فإننا نأمل أن تتطور كَلِيَّة دار الكلمة لتصبح مقاصدة الاتصالات في فلسطين.

التحدّي: في الختام وبعد مشاركتكم كل هذه الأخبار الجيدة اسمحوا لي أن أنتقل إلى تسليط الضوء على تحدّي واحد، وهو التمويل. إنه ليس سرّاً أنّ معظم الفضائيات العربية تملكها وتديرها دولارات بتروال الحكومات العربية الحاكمة، في حين أنّه في كثير من الدول الغربية يظهر تأثير الصهيونية ومجموعات الصهيونية المسيحية على الإعلام جلياً واضحاً.

إنّ المسيحيين غائبون عن مجال الإعلام هذا، وإذا وجدت بعض فضائيات الإعلام المسيحية فستكتشف بسرعة أنّ لها جدول أعمال إنجيلي يميني، وهذا صحيح في الشرق الأوسط أيضاً. أنّ العديد من الفضائيات الإنجيلية وفضائية كاثوليكية واحدة تتحكم في «الرسالة».

إنّ اللوثرين هم الاتجاه الوسطي بين البروتستانت الذين من الممكن أن يكون لهم ما يقال، ولكن ليس لهم الصوت ولا الأدوات ولا المنافذ ليشاركوا

بقصّتهم. وفوق ذلك كله فأنا أشعر بأنّ جميع وكالات التطوير اللوثرية ينقصها رؤيا استراتيجية للتواصل. ويجب عليّ أن أعترف بأنني لست متفائلاً أبداً أنّهم سيطورون رؤيا قريباً. ومع ذلك فسوف نستمرّ في أن نمدّ أولاً شعبنا برسالة أمل، وأنّ نشجّعهم على قول قصّتهم، وحفر حكايتهم ومشاركة إنجيليتهم بصوت عالٍ وواضح.

٢٠١١

لقد بدأنا سنة ٢٠١١ بخطة كنت قد طوّرتها مع العمدة المنتخبة حديثاً. ثمّ تمّ عرض هذه الخطة في ورشة عمل لجميع أعضاء الطائفة لمناقشتها وإقرارها. والموضوع السنوي الذي تمّ اختياره والتصويت عليه هو «الارتباط والعطاء» وكان البرنامج الذي تمّ تطويره يتكوّن من عشرة نقاط أساسية هي:

(١) دروس الكتاب المقدّس والتربية المسيحية: تمّ التخطيط لثلاثة مسلسلات، وقد تمّ إنجاز اثنين منها: سلسلة دروس في الكتاب المقدّس عن المزامير، وسلسلة محاضرات عن الحركة المسكونية مع دراسة مُعمّقة عن الكنائس المشيخية والأسقفية والمعمدانية والخمسينية.

(٢) مدرسة الأحد وثلاثة برامج شبيبة مختلفة: قد تمّ إنجاز مدرسة الأحد و صفوف التثيت فقط، فإنّ تعيّر القادة نتج عنه بعض المقاطعة في عمل مجموعتين من الشبيبة.

(٣) الرياضة الروحية للعائلات: لقد تمّ التخطيط لرياضة روحية لمدة ثلاثة أيام ونُفذت في طبريا في الفندق الاسكتلندي. وتناولت موضوع الدين عند البهائيين والدروز. وقد كانت هذه من أنجح الرياضات الروحية التي أقيمت. وقد اضطررنا إلى تأجيل رياضة روحية أخرى للشبيبة لأسباب مادية.

(٤) اللقاءات الاجتماعية: لقد طرحت العمدة الجديدة فكرة البدء بلقاءات اجتماعية لكل أعضاء الطائفة، تُعقد في يوم السبت الأول من كل شهر حيث تتناول وجبة بسيطة وقرص ونعْبُ ألعاباً أو نستمع إلى محاضرة. وقد أثبتت هذه أنها طريقة ناجحة وقد قوّت الروابط ما بين العائلات.

(٥) أحداث مميزة: لقد اعتدنا أن نحتفل بعيد العنصرة وعيد الشكر كل سنة بصلاة خاصة يتبعها وجبة غداء. وأضيف إليهما احتفال حدث ثالث مع وجبة غداء احتفال بعيد الأم. وانتهى بنا المطاف أن يكون عندنا رابع وجبة غداء في عيد الميلاد. وفي كل من هذه الأحداث كان يجتمع أكثر من ١٢٠ شخصاً.

(٦) زيارات: لقد تمّ الاتفاق على الاستمرار في تقليد قيام أعضاء العمدة والقسيس بزيارتين بيّنتين كل شهر. هذا بالإضافة إلى لجنة السيدات اللاتي لهنّ زيارتهنّ الخاصة أيضاً.

(٧) الاتصالات: لقد تمّ اتخاذ قرار باستثمار أكثر وتطوير حضورنا في الإعلام المحلي والاتصالات الإلكترونية بما في ذلك صفحات التواصل الاجتماعي (facebook) وعلى الشبكة والموادّ السمعية- بصرية. وستتضح ثمار هذا العمل هذه السنة.

(٨) عيد الشكر: لمدة ثلاثة عشر عاماً على التوالي يُحقق أعضاء الكنيسة رقماً قياسياً في العطاء. لقد تمّ التبرُّع بمبلغ ٣٠,٠٠٠ شيكل إلى الكنيسة بمناسبة أحد الشكر. إنّه من المذهل كيف تستمرّ هذه الكنيسة بمفاجأة الجميع عن طريق زيادة عطائهم السنوي بحوالي ١٥٪ بالرغم من الأزمات السياسية والاقتصادية.

(٩) الترميمات: في سنة ١٩٩٥ أُعطي سرداب الكنيسة إلى دار الندوة لأجل ترميمه واستعماله لمدة ١٨ سنة، ثمّ إعادته إلى الكنيسة. وبعد ١٦ سنة أُرجمت ديار هذه الغرف إلى الطائفة التي جمعت التبرّعات لتأثيثها واستعمالها كمركز لأعمال الطائفة.

(١٠) الموسيقى في الكنيسة: لقد تقرّر أن نستثمر أكثر في الموسيقى الكنسية المعاصرة. وستكون هذه أولوية قصوى لسنة ٢٠١٢.

عندما اجتمعت الكنيسة ثانية في بداية هذه السنة لتقييم سنة ٢٠١١، قدروا نسبة النجاح ب ٨٥-٩٠٪. وهذا يتناغم مع السنوات السابقة حيث تمّ تنفيذ الخطط الموضوعية وتحقيق معظم الأهداف. نشكر الرب من أجل هذه الكنيسة، ومن أجل أعضائها ومن أجل عطائهم، ومن أجل إمكانات الخدمة التي لا تنتهي.

اسمحوا لي أن أنهي بملاحظة شخصية واستنتاج:

تعلمون أنني قد مُنحت جائزة ٢٠١١ الدولية المرموقة، جائزة الإعلام الألماني (Deutscher Medienpries) التي أُطلقت سنة ١٩٩٢ ومُنح عادةً إلى رؤساء الدول. بمن فيهم أنجيلا ميركل (٢٠٠٩)، والدلاي لاما (٢٠٠٨)، والملك خوان كارلوس، ملك إسبانيا (٢٠٠٦)، وكوفي عنان (٢٠٠٣)، والملكة رانيا ملكة الأردن (٢٠٠٢)، والمستشار جيرهارد شرويدر (٢٠٠٠)، وبيل كلنتون (١٩٩٩)، ونلسون مانديلا (١٩٩٨)، والملك حسين، ملك الأردن (١٩٩٧)، وبورس يلتسن (١٩٩٦)، والرئيس عرفات (١٩٩٥)، واسحق رابين (١٩٩٥)، وفرانسوا ميتيران (١٩٩٤) والمستشار هيلموت كول (١٩٩٢)، هذا بالإضافة إلى بعض الشخصيات المختارة مثل السير ريتشارد برانسون (٢٠١٠)، وستيفي جراف (٢٠٠٧)، و بونو (باول ديفيد هيوسن) (٢٠٠٥)، و رودلف جيولياني (٢٠٠٢)

وقد مُنحت الجائزة أيضاً للروسي ستانيسلو بيتروف الذي منَع نشوب حرب عالمية نووية ثالثة سنة ١٩٨٣ والدكتورة الأفغانية دينيس سكينه يعقوبي التي عملت بجهد على تمكين النساء في أفغانستان، والدكتور دينيس مكويجي من الكونغو الذي ساعد الآلاف من ضحايا الاغتصاب في حرب الكونغو. وكان قرار المحكمين يعتمد على العمل الدؤوب الصامت في خلق فسحة للأمل

من خلال إنشاء وبناء مؤسسات التميز في التربية والثقافة والصحة وعلى المكانة القويّة والموقف من ثقافة الحياة والحوار. والجائزة عبارة عن تمثال من السيراميك ومبلغ ١٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي، تسلّمها في الرابع والعشرين من شباط في بادن بادن.

ولا بُدَّ أنكم سمعتم عن هجوم التشهير والتهديد بالموت والمقاتلات القذرة الكثيرة ضدّي. والمقصود من هذه الحملات كان إغلاق خدمة الأمل هذه عن طريق نزع الشرعية عنها. ولحسن الحظّ فقد باءت الحملة بالفشل لأنّ هذه المؤسسة قد طوّرت عبْر عقدين من الزّمان مصداقيّةً قليلةً مثيلاتها. وأودُّ أن أشكر جميعكم يا مَنْ وقفتم معي، ودافعتم عن خدمتنا وعمَلنا. وسأستمرُّ في التأكيد على أنّ فلسطين هي وطني وأنّ المسيحيّة هي ديني. هذه هي أرض أسلافي الجسدَيْن والروحَيْن.

خلال الشهور المنصرمة اتّضح أنّ «الوجود المسيحيّ الفلسطينيّ» في هذا البلد يراه المسؤولون الإسرائيليّون والمسيحيّة الصّهيونيّة وجماعات اللّوبي الموالى لإسرائيل حجرَ عثرة، يجبُ أن يُزال أو يُسكّت صوتُه. إنّ هذه المعركة الحالية تدور رحاها هنا. وأنا أحتُّ شركاءنا أن يُطوّروا استراتيجية تساعد المسيحيّة في البلاد، لا أن تبقى حيّة فقط، بل وأن تزدهر أيضا. أحتكم أن تُناصروا العدالة، وتشاركوا معنا في نموذج جديد في الحوار المسيحيّ اليهوديّ الذي لا يتسامح مع التشهير، وألا ترضخوا لضغوطات اللّوبي الإسرائيليّ. لست أنا الذي على المحكّ بل الإنجيل ذاته: كرامة شعبنا ومستقبل أطفالنا، وأهمّ من ذلك مصداقيّتنا جميعا. ولهذا لا أستطيع إلا أن أقول مع مارتن لوثر:

«هنا أقف. لا أستطيع عمل شيء آخر. ساعدني يا الله. آمين»

٢٠١٢

لقد بدأنا سنة ٢٠١٢ بخطة تمّ وضعها مع أعضاء العمدة والتي طرحت في ورشة عمل، عُقدت لجميع أعضاء الكنيسة لمناقشتها وإقرارها، وقد تضمّن البرنامج عشرة مكوّنات:

١) دروس الكتاب المقدّس والتربية المسيحيّة

تمّ إجراء اثنتين من بين المجموعات الثلاث التي خطّطت لسنة ٢٠١٢: سلسلة دروس الكتاب المقدّس عن رسالة بولس إلى أهل غلاطية، وسلسلة محاضرات عن الكنيسة اللوثرية في العالم اليوم، بما في ذلك محاضرة عن دور الاتحاد اللوثرية العالميّ قدّمها المطران منيب يونان، ومحاضرة قدّمها روبرت جرانك عن التّقلّة من الشّمال إلى الجنوب.

٢) مدرسة الأحد وبرامج الشّبيبة

في بداية هذه السنّة عيّنت الكنيسة السيّدة إيفا عاقلة (وهي لوثرية من لاتفيا ومتزوجة لرجل من بيت لحم) والسيّد بهجت خضر (أصلا إنجليكانيّ من الزّبابدة) ليساعدا في خدمة الشّبيبة، وكذلك في الاتّصالات والموسيقا. ومساعدة أخرى هي السيّدة لارا فضول التي كانت معلّمة في مدرسة الأحد. وقد غادرت بيت لحم بعد أن تزوّجت وانتقلت إلى رام الله. وقد انتهى دوري كمنسق في «ساهران» (برنامج تدريب القيادة الشّابة)، ويسرني أنّ القسّ أشرف طّوس تمكّن من تولي هذه المسؤوليّة.

٣) الرّياضة الرّوحية للعائلات

لقد تمّ التّخطيط والتنظيم لرياضة رّوحية مدّة ثلاثة أيّام في الفندق الأسكتلنديّ في طبريا. وكان موضوع الرّياضة الرّوحية «الكنيسة المسيحيّة في



إسرائيل اليوم» إضافة إلى ذلك عُقدَ مؤتمرٌ مدَّة ثلاثة أيَّام للعائلات في أريحا تحت عنوان «الكنيسة والتَّحدّيات الحاليَّة»

٤) لقاءات اجتماعية

في سنة ٢٠١١ تمَّ طرحُ فكرةٍ جديدةٍ وهي عُقدُ اجتماع كلِّ أوَّل سبت من الشَّهر للاشتراك في وجبةٍ والصَّلاة مع بعض التَّسليَّة مثل الرُّقص والألعاب والمحاضرات. وقد عقدت اللُّجنة الاجتماعيَّة للعمدة تسعُ أمسيات اجتماعية سنة ٢٠١٢، إضافة إلى إقامة أربع وجبات خفيفة، ووجبات غداء في عيد العنصرة وعيد الشُّكر وعيد الأم وعيد الميلاذ.

٥) الزيارات الرَّاعوية

استمرَّت الزيارات الرَّاعوية مع العمدة بمعدل زيارتين في الشَّهر، هذا بالإضافة إلى زيارات لجنة السيِّدات.

٦) الاتِّصالات

لقد تمَّ اتِّخاذ قرارٍ بشأن زيادة وتحسين حضورنا في الإعلام الاجتماعيِّ والاتِّصالات الإلكترونيَّة، بما في ذلك صفحة التَّواصل الاجتماعيِّ (facebook)

والانترنت والوسائل المرئية والمسموعة. أدعوكم لمشاهدة الفيديو القصير الذي يُلقي الضوُّء على كنيسة الميلاذ اللوثرية سنة ٢٠١٢.

٧) عيد الشُّكر

للسنة الرَّابعة عشرة على التَّوالي يضربُ أعضاء الكنيسة أرقامًا قياسيَّة في العطاء. في سنة ٢٠١٢ تمَّ تقديم حوالي ٣٥,٠٠٠ شيكل للكنيسة بمناسبة أحد عيد الشُّكر. إنَّه من المذهل كيف تستمرُّ هذه الكنيسة في زيادة تقدُّمها السنويَّة بحوالي ١٥٪ بالرَّغم من الأزمات السياسيَّة والاقتصاديَّة.

٨) الترميمات

تمَّ ترميمُ المساحة فوق الدكاكين المؤجَّرة وتركيب درابزين عليها.

٩) الموسيقى في الكنيسة

شهدت سنة ٢٠١٢ تركيزًا أقوى على الموسيقى في الكنيسة، بما في ذلك إعادة إحياء فرقة الأجراس للأطفال. وتعرَّف مجموعة صغيرة منهم في الكنيسة في معظم أيام الآحاد.

١٠) القس د. فيكتور مكاري



في الأوَّل من حزيران سنة ٢٠١٢ انضمَّ إلى طاقم مجموعة ديار القس د. فيكتور مكاري كمستشار دولي يعمل في مجال برنامج الدين والدولة، وبالإضافة إلى ذلك فهو يُساعدني في الخدمة الأحدث في الكنيسة.

عندما اجتمعت الكنيسة ثانية في بداية هذه السنة لتقييم سنة ٢٠١٢ قدَّروا نجاح هذه السنة بنسبة

٨٠٪ وهذا متناسق مع السنوات السابقة، حيث يتم تنفيذ الخطط الموضوعية، وتحقيق معظم الأهداف. على أية حال، اتفقنا جميعاً أن هناك ضعفاً في عمل الشبيبة وهو بحاجة إلى اهتمام أكبر سنة ٢٠١٣.

اسمحوا لي أن أنهي هذا التقرير بملاحظة شخصية:

لقد مرّ ٢٥ عاماً على رسامتي قسّاً في الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن والأرض المقدّسة. وأنا أشكر الربّ على البركات التي لا تحصى، والفرص التي لا تنتهي في خدمته. وأنا إذ استرجعُ ذاك، لا أندمُ على لحظة واحدة، بل بالعكس أشعر أنني مُباركٌ بطرق لا أستحقّها. إنها في الحقيقة النعمة، والنعمة وحدها هي التي قوّتني. أوّد أن أتقدّم بالشكر للمطران ولزملائي ولأعضاء هذه الكنيسة عامّة، وكنيسة الميلاذ اللوثرية خاصّة؛ لدعمهم وصلواتهم. وآمل أن تتمكنوا جميعاً من حضور احتفال اليوبيل الفضيّ لرسامتي. وبهذه المناسبة سوف تُنشرُ ثلاثة كُتب لي: واحدٌ باللّغة الإنجليزيّة بعنوان «الإبحار في مياه مضطربة: الكنيسة في الشرق الأوسط في الماضي والحاضر»، وكتابٌ باللّغة العربيّة يحتوي مجموعةً من المقالات والمواضيع، والأخيرُ أيضاً باللّغة العربيّة ويحتوي عِظات تدلُّ على الحالة المتغيّرة للخدمة والكلمة الواعظة تبعاً لذلك. أرجو أن تُبقوني في صلواتكم لأنني أعتقد أن صلواتكم هي التي تبقيني مُستمرّاً.

٢٠١٤

المعمودية والحجّ محطات تاريخية في الحجّ

لقد كان أوّل ظهور للحجّ المسيحيّ، والذي له جذور راسخة في العهد القديم، (انظر المزامير الكثيرة عن الحجّ... الخ) في القرن الرابع. فالمملكة هيلانة والقديس جيروم قد لعباً دوراً هاماً في تطوير بنيته التحتية وكذلك اللاهوت. لا

شكّ أنّ الحجّ كان أداةً مهمّةً في يد الإمبراطورة البيزنطية. لقد جاء الصليبيون ليجعلوا الوصول إلى الماكن المقدّسة والسيطرة عليها آمناً. فلا غرابة أن «تجارة» السياحة كان يتحكّم بها على الغالب إمّا الامبراطورية أو كنائس أو كيانات أجنبيّة، التي كانت لا تزال تسيطر إلى حدّ كبير على الأماكن المقدّسة، والمزارات المسيحية الكبرى في الأرض المقدّسة. فقد أصبح اليونانيون والفرنسيّون حُرّاً لأقدس الأماكن وكانوا يُنظّمون تدفق السيّاح الكاثوليك والأرثوذكس وبنوا وامتلكوا وأداروا معظم بيوت الاستضافة.

وظلّ هذا هو النمط الرئيس حتى منتصف الستينيات عندما بدأ يحدث التغيّر. فقد بدأت مجموعات متزايدة من الحجاج البروتستانت تأتي إلى الضفّة الغربيّة ثم إلى جزء من الأردن. وهنا، في سنة ١٩٥٩، وبدعم من الاتحاد اللوثرية العالميّ، أنشئت كنيسة لوثرية من أهل البلد الأصليين، واكتشف البعض من أعضائها أنه يمكن الاستفادة من التفوذ اللوثرية. وفي خلال ثلاث سنوات أنشئت ثلاث وكالات سفر لوثرية في القدس: إميل أبو دية أنشأ سنة ١٩٦٤ شركة التّ (NET) للسياحة، وافتتح راجي وباسم خوري (Shepherds Tours) في الأوّل من شهر آب ١٩٦٥، وبدأ سمير حبش (United Travel) في شهر آذار ١٩٦٧. وقد لعبت وكالات السفر الثلاث هذه، ولا زالت، تلعب دوراً هاماً في صناعة السياحة الفلسطينية. لقد لعب اللوثرية دوراً مهمّاً في عمليّة علمنة الحجّ المسيحيّ إلى الأرض المقدّسة.

وفي سنة ١٩٩١ طرأت نقلة أخرى على مفهوم الحجّ. فخلال الانتفاضة الأولى افتتحنا نزل «بيت أبو جبران» للضيافة بناء على فكرة تعزيز نوعاً جديداً من الحجّ إلى المنطقة التي أطلقنا عليه اسم «السياحة الأصيلة». كان الحجاج يأتون عادة لزيارة ما يسمّى الإنجيل الخامس أيّ الأرض المقدّسة لكي يتمكنوا من فهم الأناجيل الأربعة. وبالْحقيقة، إنّ الحجّ إلى الأماكن التي ولد فيها يسوع، وعاش ومات وقام من الأموات هي تجربة تحويلية تجعل الإنسان يقرأ ويفهم الكتاب المقدّس بطريقة جديدة. على كلّ حال، فإنّ السيّاح يفقدون بزيارتهم

الحجارة القديمة للمواقع الأثرية فقط، لقاء الحجارة الحية حيث يسكن يسوع اليوم. وتبقى الأرض بالنسبة للكثيرين مجهولة الهوية، ولا تسمح البرامج المعيارية بأي تفاعل ما بين السياح وسكان الأرض، فتبدو الأرض المقدسة وكأنها عالم ديزني مسيحي حيث يقف السياح في طوابير طويلة ليزوروا الكثير من المواقع والكنائس القديمة، ويركض الحجاج حيث مشى يسوع.

إنها لتجربة مؤثرة أن يمشي الحجاج طريق الآلام حاملين صليبا خشبيا على ظهورهم. ولكن الأكثر وضوحاً؛ هو أن تسمع حكايات وشهادات صادقة وقصصاً شخصية من مصدرها من المسيحيين المحليين والذين نسميهم الإنجيل السادس، فمن خلال برنامجنا «السياحة الأصلية» (بدأنا بتقديم نهج شمولي للسياحة مركزين لا على الأرض فحسب بل على الشعب الفلسطيني أيضاً من حيث ثقافتهم، والواقع السياسي الذي عليهم احتمال. وفي ذلك الوقت، لعب القس جون ميللن راعي الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في القدس دوراً هاماً في تطوير هذا المفهوم معنا. وسرعان ما قلدت هذا المفهوم الذي طوره سنة ١٩٩٢ مجموعة لوثرية أخرى في بيت ساحور، والذي صار يُعرف باسم فريق السياحة البديلة (ATG) سنة ١٩٩٥ وزميلي في بيت جالا عندما أنشأ بيت إبراهيم سنة ٢٠٠٣. ولا تزال الثلاث منظمات مجتمعة لا تصل إلى ٥٪ من ال ٢٠٠,٠٠٠ لوثري الذين يزورون الأرض المقدسة من ألمانيا والولايات المتحدة والدول الاسكندنافية، ويزور الأردن عدد قليل جداً منهم. وهكذا فإن الإمكانيات أكثر بكثير مما نتصور. وفي هذا السياق يمكن لشركائنا في لجنة التنسيق للتعاون أن يساعدوا.

نحو لاهوت عماد و حج

«لماذا تطلبن الحي بين الأموات؟ إنه ليس ههنا!». هنا يبدأ فهم لوثري للحي؛ إن يسوع ليس في الأطلال القديمة، إنه ليس في المعابد القديمة. إنه في وسط شعبه إنه «في ومع وتحت» الماء والخبز والخمر، إنه في ومع شعبه «هناك

تجدونه.» ولهذا السبب بدأنا برنامجنا للسياحة الأصلية سنة ١٩٩٢. لقد كانت الصلاة مع الطائفة المحلية واحدة من أهم مكونات أي حج. إن المعمودية تعني أن تكون متحدًا مع الكنيسة وجسد المسيح. وفي اللقاء مع الطائفة المحلية يختبر السياح الجانب المتجلي لجسد المسيح الذي يتجاوز اللغة والثقافة والجغرافيا.

الوضع السياسي

كانت سنة ٢٠١٤ سنة مهمة أخرى لكنيستنا في بيت لحم بالرغم من الصعوبات السياسية الكبرى التي كنا نواجه. لقد أثرت الحرب على غزة سنة ٢٠١٤ على الروح المعنوية وإنتاجية أعضائنا وهم يشاهدون دمار جزء مهم من وطننا قتل فيه أكثر من ٢,٥٠٠ شخص وجرح حوالي ١٠,٠٠٠ شخص. ولقد تلقى قطاع السياحة ضربة قوية بسبب الحرب التي نجم عنها إلغاء الكثير من المجموعات السياحية، وبدا هذا واضحاً في عدد السياح الذين يؤمنون كنيستنا لحضور خدمة يوم الأحد، إضافة إلى الهبوط الحاد في الدخل المحلي الذي مصدره السياحة، وخاصة ان ٧٠٪ من اقتصاد بيت لحم يعتمد على السياحة. ولغاية هذه النقطة، ولسوء الحظ، لم يكن هناك أية دلائل تشير إلى تحسن الوضع. وقد عمل إعادة انتخاب نتياهو على ترسيخ هذا الاتجاه. ولقد ضربت العديد من برامجنا وخصوصاً المطاعم والنزل والسياحة ضربة قوية مما أرغمنا على الاستغناء عن خدمات ١٠٪ من موظفينا. وكل من كان له بصيص أمل في خرافة عملية السلام» أدرك أننا مقدمون على نظام تمييز عنصري أكثر تعقيداً في التاريخ الحديث.

التخلص من الأساطير في عمل الكنيسة

بالرغم من كل هذا، تمكن عمل كنيستنا من الاستمرار، مع أنه لم يسلم من التأثير. وكان علينا أن نلغي الرياضة الروحية للعائلات التي كنا نقوم به كل صيف، وذلك بسبب الحرب على غزة. لكننا تمكنا قبل بداية الحرب ببضعة أسابيع من

القيام برياضة روحية للأزواج الشابة مع أطفالهم في أريحا. وقد تم مناقشة سؤال هام هناك؛ وهو كيف نُربّي الأطفال في عصر الإعلام الجديد، حيث الأساطير (وهي موضحة في الألعاب الإلكترونية المتعددة) تتشابك مع الواقع اليومي. وكان من الأحداث الكبرى تثبيت فوج آخر لتسعة من الشباب والشابات الذين سلّموا حياتهم للمسيح، وأعلنوا أنهم يريدون أن يتبعوه، ويكونوا أعضاء فاعلين في الكنيسة والمجتمع.

وكان التخلّص من الأساطير موضوعاً هاماً في سلسلة دروس الكتاب المقدس التي قمنا بها في فترة الصيام لدى دراستنا للإصحاحات الإحدى عشرة الأولى من سفر التكوين. وهنا تمكّن أعضاء الكنيسة أن يشعروا بقوة الأسطورة فمن التفاحة التي لم توجد في النص، ولكنها أصبحت بفضل ستيف جوبز وآبل رمزاً للمعرفة، إلى محاولات إخضاع النساء بواسطة تفاسير من سفر الخروج ٢-٣، ومدى قرب الأسطورة من الواقع أحيانا توضّحت لدى قراءة قصة الطوفان القديم بينما نعيش تحت الطوفان بسبب اختلاف الطقس أو عندما نقرأ عن برج بابل و«البلبلّة الطائفية» الذي نمرّ به هنا في الشرق الأوسط. وخلال دروس الكتاب المقدس هذه اتّضح لأعضاء الكنيسة أن الأساطير هي قصص قوية جداً تُخبّي في طياتها وضعاً حياتياً حقيقياً للناس. واتّضح أيضاً أن فهم الأساطير وإيجاد الأسلوب الصحيح لفهمها هو المفتاح. فالأساطير إمّا أن تُساعد الناس في فهم عالمهم أو دفعهم للهروب من الواقع إلى عالم أسطوري.

وقد تمّ طرح قضية هامة أخرى: يبدو لي أننا كلوثريين من نتاج عالم عقلائي. إننا نركّز على الكلمة، على السبب على الإيمان التأملي الحاسم، ومع ذلك فإننا نعيش ونعمل في مجتمع لا تزال تُشكّله الأساطير. ففي الوقت الذي عبّر فيه أولادنا إلى ما بعد العصر الحديث، حيث لا زالت الأساطير تُشكّل واقعَهُ. يحتاج هذا السياق إلى تفكير لاهوتيّ شامل. كيف نستطيع كلوثريين أن نكون صادقين مع جذورنا، كلٌّ من اللوثريين وأولئك الشرق أوسطيين.

وقد كان لهذا السؤال بعض النتائج على الطريقة التي نصلي بها. فقد انتقلنا من الليتورجيا الألمانية القديمة والتقليدية جداً إلى هجين من الموسيقى التقليدية والمعاصرة ضمن الخدمة ذاتها. لقد كان ذلك نهجاً ناجحاً جداً على مدى عدّة سنوات. ونحن نشعر الآن أننا وجدنا مزيجاً جيّداً.

إنّ السؤال عن دور مسيحيّ في سياق الشرق الأوسط الحالي كان العنوان الرئيس لمشروع «الدين والدولة». ففي ٦ كانون أوّل سنة ٢٠١٤ أصدرنا الوثيقة الإقليمية «من الفرات إلى النيل: الدعوة إلى الإيمان والمواطنة» عن طريق تأسيس «المنتدى الأكاديمي المسيحي للمواطنة في العالم العربي» باشتراك باحثين من ٢٤ جامعة في الشرق الأوسط.

قسّ جديد

في الأوّل من أيلول، وبتعيين من المجلس الكنسيّ، بدأ قسّ جديد تدريبه في كنيسة الميلاذ اللوثرية وهو الدكتور منذر اسحق الذي كان قد حصل قبل شهر على درجة الدكتوراة في لاهوت الكتاب المقدس من إنجلترا، وكان موضوع



اطروحته «لاهورت الأرض». وينحدر الدكتور اسحق من خلفيّة إنجيليّة وقد تزوّج في كنيسة اللوثرية في بيت ساحور. وقد قرّر الانضمام إلى كنيسةنا لأنّه رأى في هذه الكنيسة مزيجاً من أن تكون إنجيلياً مع كونك لوثرياً. وهنا وجد المجال لينمو، ويكون ناقداً ومفكراً ونشطاً. إنّه إضافة عظيمة إلى فريق الرّملاء العظيم في هذه الكنيسة. إنّه بركة أن يكون معنا، ومساهمته في الموسيقى المعاصرة عظيمة.

إنجازات كبيرة

بالرغم من الحروب المحيطة بنا، ولأننا نؤمن بأهمية خلق حقائق على الأرض يمكنها أن تمكن الناس وتعطيهم الأداة اللازمة ليكونوا مبدعين، فقد تمكنا بمعونة الله أن نكمل إنجازين كبيرين في كليّة دار الكلمة الجامعية للفنون والثقافة:

في الثاني من آذار سنة ٢٠١٤ تمّ افتتاح قاعة الرياضة الداخليّة في كليّة دار الكلمة. وهذه القاعة التي تبلغ مساحتها ١,٥٠٠ متر مربع، تُوفّر مساحات لكرة القدم، كرة السلة، كرة الطائرة، وكذلك للتنس وكرة اليد. إنّه أكبر قاعة رياضة داخليّة في منطقة بيت لحم، وثاني أكبر قاعة في فلسطين. وللمساعدة في إنجاز هذه القاعة الفريدة من نوعها شاركت المترجمة الكنديّة سندي كلاسين الحائزة على الميدالية الذهبية لسّت مرّات في التّدوة بعنوان «تمكين المرأة من خلال الرياضة» التي عقدت أثناء الافتتاح الرّسمي ومع العديد من الشخصيات الرياضيّة النسويّة الفلسطينيّة والمبرزين في مجال الرياضة.

وكذلك تمّ في الثلاثين من أيار سنة ٢٠١٤ افتتاح العمارة المكوّنة من ثلاثة طوابق التي تبلغ مساحتها الإجماليّة ٢,٢٠٠ متر مربع، وتحتوي الطّوابق الثلاثة ١٢ مكتباً للهيئة التدريسيّة في برامج التّراث الثقافي، وبرامج التطوير المجتمعي، بالإضافة إلى غرفة اجتماعات، وثلاث قاعات محاضرات، وغرفة للمعلّمين،

وحمامات. وقد توجّ ذلك بمطبخ تدريب كامل التّجهيز، وغرفة طعام للتدريب في الطابق الثاني.

الإيمان في وجه الإمبراطوريّة

في شهر شباط سنة ٢٠١٤ تمّ إصدار أحدث كتاب لي بعنوان «الإيمان في وجه الإمبراطوريّة» باللّغة الإنجليزيّة، وأصبح الرّقم الأوّل بين الكتب الأكثر مبيعا في فئة كتب «لاهورت التّحرير» الصّادر عن الأمازون، وواحداً من أوّل عشرة كتب عن قضايا شرق أوسطيّة. ولقد تمّت ترجمة الكتاب إلى سبع لغات لغاية الآن، وأعلنته ال (Weekly Review) على أنّه واحد من أفضل ٢٢ كتاباً عن الدّين تمّ نشرها سنة ٢٠١٤. ويؤكد الكتاب على أهمية قراءة جديدة للكتاب المقدّس؛ تعتمد على التّحليل السّياسيّ الجغرافيّ وعن الخبرة الحقيقيّة للحياة. وهذه خطوة هامّة في خلق قصص ولاهورت مسيحيّ فلسطينيّ.



٢٠١٥

النساء في القيادة في الكنيسة والمجتمع

كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية كمثال

لقد كان تقرير لجنة التنسيق هذا والطلب بالتركيز على دور النساء في الكنيسة والمجتمع تمرينًا جيدًا لي؛ لكي أنظر إلى الوراء إلى تاريخ عمره يُقاربُ الثلاثين عامًا في بيت لحم، ولأنَّ أشارَكم بقصص عن النساء القياديات اللواتي برزنَ في كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم، وكُنَّ رائداتٍ في أكثرَ من مجال.

ويُزوِّدنا هذا التقرير بالتوثيق اللازم ليس فقط لكنيسة اليوم، أو للجنة التنسيق للتعاون، ولكن أيضًا لسجلِّ مهمِّ لأنَّ يُحفظ للتاريخ وللأجيال القادمة.

في سنة ١٩٩٥، عندما شعرنا في المجتمع بحاجة استثمار في النساء، وأنَّ نمكُنهنَّ من الحصول على أدوار قيادية. ولهذا السبب فقد فتحنا في نفس السنة دار التدوة لتكون مركزَ تدريبٍ للنساء. وقد تطوَّرت هذه لتصبح (ديار) فيما بعد. ومن أجل هذه الخدمة المهمة فقد جندنا شابةً من أعضاء كنيستنا، الأنسة رنا خوري، التي كانت قد أنهت لتوها اطروحتها لدرجة الماجستير عن «دور المرأة الفلسطينية خلال الانتفاضة الأولى». وقد لعبت رنا دورًا هامًا في تطوير ديار، وفي سنة ٢٠٠٦ أصبحت نائبة الرئيس لتطوير المجتمع والامتداد. وفي سنة ١٩٩٨ عُيِّنت الأنسة فيولا الرّاهب، والتي هي بالمناسبة أختي، مديرةً لمدارس الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردنّ والأرض المقدّسة، فكانت بذلك السيّدة الأولى، ولغاية الآن الوحيدة، التي تشغل هذا المنصب.

واضطرت فيولا أن تعيش في فيينا، وهي تعمل الآن على إنهاء اطروحتها لنيل درجة الدكتوراة في اللاهوت البروتستانتي. وفي سنة ٢٠٠٢ تمَّ توظيف

السيّدة نائلة خروب مديرة مدرسة دار الكلمة الحديثة الإنشاء، وبهذا أصبحت الامرأة الأولى، ولغاية الآن الوحيدة، التي تشغل منصب مديرة مدرسة دار الكلمة وهي من مدارس الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردنّ والأرض المقدّسة. ومع أنَّ السيّدة خروب ليست لوثرية، وهي الآن متقاعدة، إلاَّ أنّها تستمرُّ في كونها عضوةً نشيطةً في كنيسة الميلاذ اللوثرية. وفي نفس الوقت أرسلت الأنسة مروى ناصر، وهي من أعضاء الطائفة، إلى لبنان لتدرس التربية المسيحية. وقد تخرّجت وعادت وخدمت الطائفة لعدّة سنوات كمديرة للتربية المسيحية، قبل أن تتزوَّج من شخص نمساوي وتنتقل للعيش في النمسا. وتقوم الآن بتقديم المشورة للاجئين السوريين في النمسا. ومن سنة ١٩٩٦ حتّى سنة ٢٠٠٦ خدمت القسيسية ساندر اولوين كقسيسة مساعدة في كنيسة الميلاذ اللوثرية، وبذلك جعلت من كنيسة الميلاذ اللوثرية أوّل كنيسة لوثرية في الأراضي المقدّسة تقوم على الخدمة فيها قسيسية بدوام كامل، وخدمت الطائفة لأكثرَ من ثماني سنوات.

وفي سنة ٢٠٠٦ افتتحنا كليّة دار الكلمة وأوّل معهد لوثري للدراسة العليا. وقد تمَّ توظيفُ الدكتورة نهى خوري، وهي تحمل شهادة الدكتوراة وثلاث شهادات ماجستير، وهي أيضًا عضوةً في كنيسة الميلاذ اللوثرية، عميدة للكليّة. وبذلك كانت أوّل عميدة لأيّ كليّة جامعية في فلسطين. وفي نفس الوقت وظّفت كنيسة الميلاذ اللوثرية خريجة شابةً في اللاهوت، الأنسة نيفين الصّراص، لتخدم كمديرة لبرنامج التربية المسيحية للطائفة. وقد تخرّجت الدكتورة الصّراص حديثًا من مدرسة اللاهوت اللوثرية في شيكاغو بدرجة الدكتوراة في دراسات العهد القديم. وسترسم نيفين في وقت لاحق من هذا العام كقسيسة في الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في أمريكا. وقبل أربع سنوات شعرت ابنتي الصّغرى تالا، بعد أن أكملت التدريب على القيادة في برمامج «ساهران» الذي تُقدّمه كنيستنا، برغبة في دراسة اللاهوت. وستخرّج في أواخر هذا الشهر في تخصصين في اللاهوت وعلم النفس من كليّة أولاف

فيلد (Olaf Field) في مدينة نورث فيلد في ولاية مينيسوتا. وستبدأ بدراساتها العليا في وقت لاحق من هذا العام، وستلتحق ببرنامج الماجستير في الدراسات اللاهوتية بتركيز على الدراسات النسوية.

إن عمل النساء في كنيسة الميلاذ اللوثرية بقيادة زوجتي نجوى يستمر في تزويد النساء أعضاء الكنيسة بالتدريب وإنعاش المجتمع. فقبل اثني عشر عامًا كانت كنيسة الميلاذ اللوثرية أول كنيسة في الأرض المقدسة تُخصّص حصّة ٤٠٪ في انتخابات عضوية العمدة للنساء. وحاليًا لدينا السيّدتان مي ناصر وهالة فضول تخدمان كعضوتين في العمدة. وإننا لشاكرون كنيسة الميلاذ اللوثرية أن كانت حاضنة؛ لأنّ بُرز هاتين السيّدتين القائدتين. وبالتنظر إلى هاتين السيّدتين وإلى خدمتهنّ للكنيسة والمجتمع لا يسعنا إلا أن نشكر الربّ من أجل قيادتهما والتزامهما.

وقد لعبت ديار دورًا هامًا كحاضنة للنساء في القيادة. إذ احتضنت ديار أول فريق كرة قدم في فلسطين بقيادة الأنسة هني ثلجية والتي أصبحت أول كابتن لفريق فلسطين النسوي في كرة القدم وسفيرة الفيفا للسلام بواسطة



الرياضة. واليوم، فإنّ ثلثي الأعضاء في المناصب الإدارية في كتيبة دار الكلمة الجامعية للفنون والثقافة هنّ من النساء، بالإضافة إلى أنّ ٥٦٪ من الطلاب هنّ من الإناث.

إنّ تدريب النساء وتمكينهنّ الاقتصاديّ يستمرّ في كونه هدفًا مهمًا في الكثير من برامجنا. إنّ قضية النساء ليست قضية للنساء وحدهنّ فقط. ولهذا السبب فقد شاركت أنا شخصيًا في أوائل هذه السنة مع الكثيرين من قادة العالم الآخرين في حملة الأمم المتحدة لعدالة الجنس في حملة «هو بدل هي».

وأخيرًا وليس آخراً؛ أودّ أن أكرّس هذا التقرير لكريمة عبود، أول مصوّرة فوتوغرافية في الشرق الأوسط كلّها.

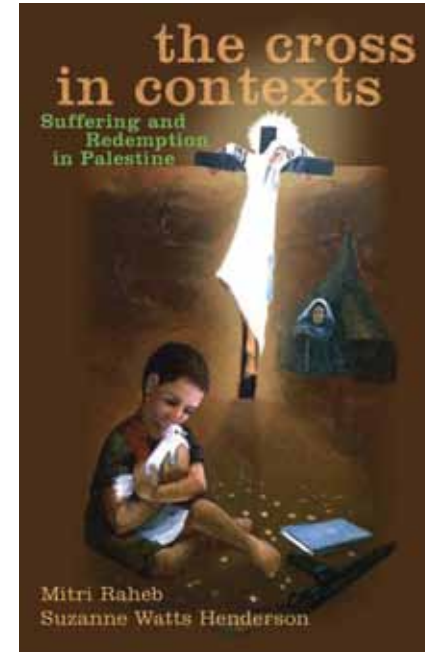
وُلدت كريمة عبود في بيت لحم سنة ١٨٩٣ ابنة للقس سعيد عبود الذي خدم كنيسة الميلاذ اللوثرية لأكثر من أربعين عامًا (١٩٠٥-١٩٤٧) ونشأت كريمة لتكون أول أنثى تجرؤ على الدخول في مجال التصوير الذي يسيطر عليه الرجال. وفي الثلاثينيات من القرن الماضي كانت تشتغل في التصوير في استوديوهات بيت لحم والقدس والناصرة وحيفا، وتقود سيارتها من مكان إلى آخر. لم تكن مجرد مُبَادِرة بل كانت سيّدة رائدة، ومن أفضل المصوّرين في تلك الحقبة على مستوى العالم. ومثل الكثيرات من النساء فإنّ قصتها لم تُحك.

وفي أرشيف الكنيسة تمكّنت أن أجدها مرجعًا واحدًا فقط، وذلك في أحد الأرشيفات في برلين. وقد تمكّنا قبل خمس سنوات من أن نقوم ببحث ونشر قصتها. وفي هذه الأثناء أنتج فيلمان عن حياتها وعن مهنتها. وفي الوقت الحالي يقوم أحد أشهر كتّاب القصص في الشرق الأوسط بكتابة أحدث قصصه التي تركز على كريمة عبود. ومن خلال هذه القصة وهذا التقرير نريد أن نسلط الأضواء ونحتفل بالنساء اللوثريات في مراكز قيادية ورائدة، اللواتي بدونهنّ لن تكون خدمتنا كما هي عليه اليوم.

٢٠١٦

هذا تقريرى الاخير بصفتى الراعى الاول فى كنيسة الميلاذ اللوثرية. لقد تم تعيينى لأخدم طائفة بيت لحم قبل ثلاثين سنة بالضبط. وخلال هذه الثلاثين سنة باركنا الله اكثر مما كنا نحلم أو نتصور. ولو ان احدا اخبرنى سنة ١٩٨٧ ان هذه الخدمة فى بيت لحم سوف تتضاعف كما تضاعفت الآن لكنت قد ضحكت كما ضحكت ساره عندما قيل لها انها سوف تحمل وهى فى التسعين من عمرها. لقد تطورت الخدمة فى بيت لحم لتصبح من اسرع الخدمات المسيحية نموا فى الشرق الاوسط باكماله. لقد كان ذلك نعمة حقا. لقد شعرت ان الله وضعنا فى المكان المناسب، بيت لحم / فلسطين فى اللحظة المناسبة، بالرغم من صعوبتها بسبب الانتفاضتين واستمرار الاحتلال، بالرؤية الصحيحة لنعلن ملكوت الله فى وجه الامبراطورية ومع اناس مناسبين، وأعضاء متفانين، وموظفين وأصدقاء مخلصين لكي تتمكن من الوعظ عن قوة المسيح المحررة وان نعلم الجيل القادم من القادة المبدعين لفلسطين، وان نشفي منكسري القلوب.

خلال هذه الأعوام الثلاثين تم إرشاد جيل جديد من القادة. إن الأطفال الذين عمدتهم فى بداية عملي هم الآن فى مراكز قيادية فى الكنيسة والمجتمع. وخلال هذه السنة الاخيرة فقط حصلت عضوتان على درجة الدكتوراه فى اللاهوت وهما تعمالان الآن فى مجال الكنيسة والجامعة.



وبنظرة إلى الوراء، انا اشكر الله على كل لحظة ولا اود ان افوت ايا منها. الله صالح، وظل صالحا طوال الوقت.

على أية حال، لم تكن هذه السنوات الثلاثين بدون تحديات عظيمة. فبعد ستة اشهر فقط من تقديم اطروحتى للدكتوراه فى المانيا، ولدى عودتى واجهتني الانتفاضة الاولى. فقد تم زج الاحتلال الاسرائيلى شبابا وكبارا من اعضاء من كنيسة فى السجون الاسرائيلية بدون محاكمة. وكانت المواجهات ما بين الجيش الاسرائيلى والشباب الفلسطينيين تقع يوميا حول كنيسةنا وبيتى. ولم اكن معتادا بثقافتى اللاهوتية على وضع كهذا، ولكن كان علي أن أتعلم الاستماع إلى الناس حتى اتمكن من الاستمرار فى الوعظ عن إنجيل تحرير ذو مصداقية.

وفى سنة ٢٠٠٠ بدأت الانتفاضة الثانية فى الوقت الذى كنا فيه فى اوج الاحتفالات بالألفية. وفى شهر نيسان سنة ٢٠٠٢ اجتاح الجيش الاسرائيلى بيت لحم، وتمركزت الدبابات الاسرائيلية خارج بيتنا. واجتاح الجنود الاسرائيليون مركزنا الذى تم ترميمه قبل وقت قريب وحولوه إلى مقر قيادتهم العسكرية. وخلال المواجهة فى كنيسة المهد كانت حياتنا مهددة بالخطر بشكل كبير، ولم نكن متأكدين (أنا وأمي وزوجتي وابنتي الصغيرتين) اننا سننجو من الموت. لقد كانت هذه اكثر اللحظات رعبا فى حياتنا. لقد كنت فى الخامسة من عمري عندما احتلت اسرائيل الضفة الغربية بما فى ذلك بيت لحم. لقد مرت اوقات كنت اظن فيها ان السلام قريب، ومع انه ليس سلاما تاما، الا انه ممكن. اما الآن، فانا لم اعد واثقا انه ممكن. ان المعاناة تحت قوى ومحتلين متعاقبين قد اصبح الجانب المهيمن فى التاريخ الفلسطينى. ولهذا السبب فليس هناك رمز آخر اى كان نوعه يمكنه ان يحكى قصتنا مثل الصليب. وفى كتابى الاخير الذى نشر قبل شهرين «الصليب فى سياقات المعاناة والخلاص فى فلسطين». انا وسوزان واتس هندرسون ننظر إلى الصليب كما فى فلسطين القرن الاول والصليب فى القرن الحادى والعشرين، ولهذا فليس لدينا اية رسالة ثانية سوى رسالة الصليب بقوته على التحرير.



بعد ثلاثين عاما قررت انه آن الأوان ان أتخلى عن خدمتي الرعوية. فقد جال هذا بخاطري منذ بضعة سنوات لكنني كنت أبحث عن خليفة يستطيع أن يسمو بكنيسة بيت لحم إلى آفاق جديدة. ولقد دبر الرب ذلك واستطعنا ان نضم الينا القس د. منذر اسحق كراعي لكنيسة الميلاذ اللوثرية ابتداء من الأول من شهر حزيران. وسابقى على قائمة قسس الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن وفلسطين ولكنني سأكرس كل وقتي وطاقتي لكلية دار الكلمة الجامعية للفنون والثقافة وذراعها الممتد ديار. أنا أكثر إيمانا أن يسوع لم يأت عن عمد ليبشر «بالكنيسة»، ولكن ليبشر بالملكوت الذي هو أوسع وأعمق من الكنيسة المنظورة. أرجو أن تبقوني في صلواتكم.



الخاتمة

كلمة القس د. متري الراهب بتاريخ ٢٠١٠/٥/٢ بمناسبة الاحتفال بمرور
 ١٥٠ عاماً على تأسيس كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية.
 مئة وخمسون عاماً مرت كلمح البصر...
 مئة وخمسون عاماً وهذه الكنيسة توزع الكلمة...
 ليلاً ونهاراً... صباحاً ومساءً.. صيفاً وشتاء...
 مئة وخمسون عاماً ونحن نربي الاجيال بل نربي الامل...
 شاهدين للمصلوب ربا ومخلصا.
 بالامس تحدثنا عن الانسان...
 عن المبشرين... عن الرعاة... عن المدراء...
 بالامس سلطنا الاضواء على المؤسسات...
 جمعية القدس في برلين... مدرسة شنلر...
 الكنيسة الإنجيلية العربية... وعن تطور دار الندوة إلى ديار...
 اليوم نقف في حضرة الله...
 نود أن نقراء التاريخ بعيون الله... نريد أن نعطي المجد كل المجد للاله...
 فبين الاكاديميين نتحدث في الاكاديمية...
 ومع المؤرخين نؤرخ التاريخ بأدوات العلم وبلا تحريف...
 أما مع جموع المرثمين فلا يليق الا الايمان والتسبيح...
 اذ ننظر إلى الخمسين سنة بعد المئة بعيون الايمان نتعلم دروسا كثيرة، ولكن
 أهمها ثلاث:



الدرس الأول في الجغرافيا

قبل مئة وخمسون عاماً ولدت هذه الكنيسة كمخلصها لم تجد لها مكانا في المنزل (وكان الله في - لم يرد أن يكون ميلاد هذه الكنيسة مختلفا عن ميلاد ابنه).. لم يوجد من أراد ان يبيعها ارضا أو ان يعطيها مكانا في بيت لحم القديمة... فاضطر مولر وعلى مضض ان يشتري ارضا من الفواغرة وان يبدأ العمل ممن مقر كان حينها على هامش المدينة .. على المدبسة .. خارج حدود البلدة... ولكن ما لم يره اتباع الطوائف الأخرى حينها...

ان الله سيغير الجغرافيا...

فبعد مئة وخمسين عاما صارت المدبسة مركز البلد النابض بالحياة... وصارت كنيسة الميلاذ بمؤسساتها قلب المركز... قلب يغذي هذه المدينة بدماء متجددة وبثقافة وروحانية متدفقة...

ولا أبالغ إن قلت أن الجغرافيا انما هي أيضا مرآة لدور هذه الكنيسة... التي اراد الله لها دورا لا على الهامش بل دورا مركزيا... محوريا... جوهريا.. في تنمية هذه المدينة ورفع شأن مواطنيها.

الله هو الذي كان وراء هذه النقلة النوعية من الهامش إلى المركز .. فله وحدة المجد والتسبيح .

الدرس الثاني في التاريخ

قبل ثلاثة آلاف عام وفي هذه المدينة بالذات أرسل الله نبيا... شيخا جليلا ليبحث عن رجل من خلاله سيغير التاريخ...

شيخ هذه القرية حينها اختار من بين أولاده البكر، الأكبر والأقوى... إنتهبه إلى الكم لا النوع...

إلى الحجم لا إلى الفعل...

ولكن الله بحكمته إختار داوود، الاصغر سنا بين اخوته ملكا...

فلا عجب اذا أن يختار الله في هذا الزمن أن يختار طائفة صغيرة لم تكن الاكبر في هذه البلد... ولم تكن الاكبر حجما ولا عددا... بل لكرمه... ولكثرة رحمته... وغزارة نعمته... اختارنا... هكذا هو الله يختار المزدري... وغير الموجود ليخزي الموجود... هو الله الذي أراد ان يغير تاريخ هذه المدينة بواسطة هذه الكنيسة...

أما الدرس الثالث فهو في السياقة

قال يسوع قبل ألفي عام... «من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت الله»... ولكنه لو عاش اليوم لقال: «من يجلس على مقعد السياقة ولا ينظر في المرآة الخلفية للحظات .. فلن يستطيع التجاوز أو التقدم إلى الأمام»...

في إحتفالنا هذا لا نرجع إلى التاريخ لأننا نريد أن نرجع إلى الوراء Reverse، بل إذ نتأمل في تاريخ هذه الكنيسة... انما ننظر في المرآة اليسرى لاننا لا نريد أن ننظر خلف الركب في اماكننا، بل انما لاننا قد أضاعنا الغمازة .. ونريد تجاوز الركب... والتقدم إلى الامام بتسارع أكثر...

هي لحظات قصيرة... سرعات قليلة... ننظر فيها إلى الوراء بلمح البصر... ولكن هي إلى الامام... نريد ترك المكان الذي نحن فيه... نريد التقدم... نريد أن نصل إلى المكان الذي أعد لنا ولكن وعبر المرآة الجانبية الامور تبدو (هكذا يكتب على المرآة) على غير حجمها...

عندما عاش القس عبود الأحداث يوما بيوم، وعندما خدم القس شحادة المنكوبين لحظة بلحظة... وعندما علم المطران نعيم الأحد تلو الآخر... في

حينها الأمور بدت غير ما تبدو عليه اليوم... اليوم نحن ننظر إليها عبر المرآة الجانبية... .

ولكن سيأتي اليوم بعد مئة وخمسين سنة أخرى حين سيجلس آخرون على مقعد السياقة والرعاية وسينظرون في المرآة الجانبية إلى الورا... إلى زمننا... الأمور عندها ستبدو غير ما هي عليه الآن... .

صغائر الامور التي تشغل بال الكثيرين لن ترى في المرآة الجانبية... سفاسف الامور لن تذكر... .

عبر المرآة الجانبية لا ترى إلا ما ارتبط بروية سديدة... وبما انتجه الايمان الراسخ... وبما خطط له بعقل صائب... .

وهذه جميعها هي من الله وبالله والله. فله وحده المجد. آمين.

الملحق الأول

الكنيسة والهجرة:

كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم مثلاً

القسّ الدكتور متري الرّاهب

مقدمة: إطار الدراسة والمصادر

لقد قمتُ خلال العقود الثلاثة الماضية ببحث عن تاريخ كنيسة الميلاذ اللوثرية. وفي السنوات الخمس الأخيرة أصبحت أكثر اهتماماً بقراءة التاريخ الطويل الأمد، متمشياً مع مدرسة الانال الفرنسية. ستركز هذه الورقة على تاريخ كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم على مدى ال ١٥٠ سنة الماضية، بما يتعلّق بالهجرة مستخدماً هذا المنظور البعيد المدى، وقد كانت هذه المهمة ممكنة لعدة أسباب:

- (١) أنّ الكنيسة صغيرة نسبياً، ويتراوح عدد أعضائها ٤٠٠ عضو، وبالتالي يُمكن تتبّع آثارهم.
- (٢) أنشئت الكنيسة في منتصف القرن التاسع عشر، ولذلك يمكننا تتبّع تاريخها منذ بدايتها ولغاية الآن.
- (٣) سجلات الكنيسة للمعموديات والوفيات متوفرة وموثقة بشكل جيّد.
- (٤) هناك تقارير دورية (ربع سنوية أو سنوية) وهي تغطّي كلّ هذه الفترة تقريباً.

المجموعة الأولى من التقارير بين ١٨٦٠-١٩٣٩ كتبها المرسلون والقسس الألمان باللغة الألمانية. ويجب أن تُقرأ هذه التقارير بعناية؛ لأن العديد من الأحداث الهامة لم تذكر فيها، إضافة إلى أن هذه التقارير كانت موجهة إما إلى الرئاسة في برلين أو للداعمين، ولذلك كان لها أهداف مختلفة عن مجرد توثيق تاريخ الرعية. السنوات الأقل تغطية كانت أثناء الحربين العالميتين: الأولى والثانية؛ لأن القسس الألمان إما تم إجلاؤهم أو تم ترحيلهم من فلسطين. والفترة التي تلت التربة موثقة بعناية في تقارير أعدّها القسس الفلسطينيون. والفترة ما بين ١٩٤٧-١٩٦٤ مغطاة بشكل جيد جدًا من خلال التقارير الموسعة للمرحوم القس إلياس شحادة. وما بين ١٩٦٤-١٩٨٧ فهي فقط وقائع جلسات المجلس الكنسي ومجلة الكنيسة «كنيستك».

٥) التّواصل مع الكثيرين من أعضاء الكنيسة في بلدانهم المضيفة لا يزال ممكناً، وهكذا تمكنا من مقابلتهم وأخذ معلومات من الكثيرين من أولئك المهاجرين أو من أفراد عائلاتهم لإكمال هذه الدراسة.

خبرة الشّنتات في أواخر الفترة العثمانية وأوائل فترة الانتداب البريطاني

إنّ أوّل سجل كنسيّ تلحميّ في الشّنتات (أمريكا اللاتينية) يمكن أن نجده في سجلّات الكنيسة اللاتينية في بيت لحم، وهو عبارة عن سجل وفاة هذه التلحميّ المهاجر (أندريا فرنسيس حنا داود) والمؤرّخ ٧ أيلول ١٧٩٦، والذي يسبق غزو نابليون للمنطقة. وعلى أية حال، والتغيرات السياسيّة التي كانت تحصل في فلسطين نتيجة لاحتلال محمد علي لفلسطين وإدخال الإصلاحات العثمانية المعروفة بـ «التنظيمات»، والتدخل الأوروبي المباشر في الإمبراطورية العثمانية أدى إلى زيادة «السياح» إلى الأرض المقدسة، وكذلك زيادة اهتمام أهالي بيت لحم في بيع وتصدير منتجاتهم من التذكارات (souvenirs) إلى الخارج.

إنّ أوّل مهاجر فلسطيني تمّ تسجيله في التشيلي يرجع إلى سنة ١٨٤٠ في فينا ديل مار (Vina Del Mar)، وهكذا فإنّ هجرة أهالي بيت لحم قد سبقت تأسيس كنيسة الميلاذ اللوثرية.

ومع أنّ هجرة أهالي بيت لحم استمرت في العقود التالية فإنّ أكبر موجة هجرة في التاريخ المعاصر بدأت مع بداية القرن العشرين. والأسباب وراء هذه الموجة من الهجرة غير واضحة. وبشكل تقليديّ يعزو الناس هذه الأسباب إلى جماعة (تركيا الفتاة) الذين استولوا على السّلطة سنة ١٩٠٨، وكانوا تواقين إلى تحديث الجيش وإدخال إصلاحات سياسيّة في مناحي الإمبراطورية العثمانية كافة، وشرعوا في تجنيد المسيحيين في الجيش العثماني. وكان هذا تغييراً كبيراً في مجتمع أعفّي لقرون عديدة من الخدمة العسكريّة مقابل دفع ضريبة إضافية وهي الجزية. وللهرب من الخدمة العسكريّة شرع الكثير من الشّباب المسيحيين بمغادرة بيت لحم، وانتهى بهم المطاف في أمريكا اللاتينية. ولقد بدأ الكثير من العلماء المعاصرين يُشكّكون في هذه النظريّة ويعزون سبب هذه الموجة من الهجرة إلى نوع من حُمى الهجرة بحثاً عن الاغتناء السريع. فقصص النجاح الاقتصاديّ في المهجر قد لعبت دوراً مهمّاً في هذه الموجة.

ولسوء الحظّ ليس لدينا تقارير مباشرة عن أعضاء كنيسة الميلاذ اللوثرية الذين هاجروا في هذه الفترة. وقد يكون سبب ذلك انه ما بين سنة ١٩٠٣-١٩١٣ تعاقب على إدارة شؤون الكنيسة أربعة قسس ألمان لم يمكث أيّ منهم فترة كافية لتتبع التطورات. والسجل الوحيد الذي لدينا هو عن إلياس خليل باسيل (١٩٢٧/٥١) حيث يدلّ التقرير بصراحة ووضوح أنّه عاش في أمريكا (ولكنّه لا يذكر إن كانت أمريكا الشماليّة أو اللاتينية/ الجنوبيّة). وعلى أية حال فإنّه لدى دراسة سجلّات الكنيسة قبل الحرب العالميّة الأولى ومقارنتها مع الحرب العالميّة الثانية يظهُرُ تغييرٌ جذريّ في أسماء العائلات التي تنتمي إلى الكنيسة. فالكثير من العائلات التلحميّة اللوثرية التي كانت ناشطة قبل الحرب

العالمية الأولى تختفي من السجلات بعد ذلك مثل عائلات الشمالي والسوداي والزيادي وطوس والشامي وأبو حاطوم.

إحدى التفسيرات عن سبب اختفائهم من السجلات هو أنه من الممكن أن يكونوا قد هاجروا بين ١٩٠٨-١٩١٨. وفي الواقع أن عائلتين من العائلات التي تم ذكرهما (الشمالي وأبو حاطوم) قد انقرضت من بيت لحم، ومتواجدة اليوم في الشتات فقط. ومن العائلات التلحمية الأصلية المذكورة في سجلات القرن التاسع عشر تظهر ثلاث عائلات فقط في سجلات القرن العشرين هي: عائلات الزاهب وسابا وباسيل، إضافة إلى عائلتي نصار وبوارشي. وفي كثير من الحالات فإن الذكور الذين كانت تزيد أعمارهم عن ١٥ سنة قد أجبروا على الهجرة في حين أن إخوانهم الأصغر سنًا والذين كانوا أصغر من أن يُجنّدوا في الخدمة العسكرية بقوا في البلاد. وأحد الأمثلة على ذلك هو جميل متري الزاهب الذي هاجر حوالي سنة ١٩٠٨ إلى بوليفيا عندما كان في السادسة عشرة من عمره. لم يرجع جميل إلى فلسطين قط، وكذلك لم يرجع أي فرد من نسله، في حين بقي أخواه الصغار وإخوانه الذين ولدوا بعد سنة ١٩٠٠ في بيت لحم. وعلى أية حال؛ فإن أخته ماريًا تزوجت من بيدرو قنواتي وسافرت معه إلى المكسيك وبعدها إلى تكساس.

حقيقة إن الحياة في المهجر لم تكن دائمًا نجاحًا كما هو واضح في قصة فرح دقماق من بيت جالا الذي هاجر إلى التشيلي سنة ١٩٠٨ مع أخويه خليل وحبیب وولديه سليم وعطالله. وبعد أربع سنوات قُتل دقماق في التشيلي وأصبح أولاده يتامى، وأحضروا إلى الميتم السوري الذي أنشأه يوهان لودفيك شنلر في القدس سنة ١٨٦١. واستمرت هجرة الفلسطينيين إلى أمريكا الجنوبية بعد الحرب العالمية الأولى. وبالرغم من مقتل أبيهم فرح، فإن اثنين من أبنائه شكري وبشارة هاجروا إلى التشيلي بعد أن أنهوا المدرسة ليكونوا مع عمهم وأخوين آخرين.

على أية حال فإنهم عند وفاة أخيهم سليم عاد بشارة إلى بيت جالا سنة ١٩٣٢. وفي سنة ١٩٣٨ تزوج من وديعة الصوص. والمثير للاهتمام أن وديعة كانت قد هاجرت مع عائلتها إلى كولومبيا سنة ١٩٠٨ ثم عادت إلى فلسطين، ودخلت مدرسة طاليثا قومي في القدس ثم عادت ثانية إلى كولومبيا. ورجعت إلى فلسطين بشكل نهائي سنة ١٩٢٧.

وعضوة أخرى من كنيسة الميلاد اللوثرية كانت كريمة عبود، أول امرأة تعمل مُصوّرة في العالم العربي. تزوجت كريمة من يوسف طابع سنة ١٩٣٠ وقرروا بعدها الهجرة إلى البرازيل. وكان زوجها يتوق إلى الحصول على الجنسية البرازيلية والجواز البرازيلي. ولد ابنهم الأول سمير في البرازيل وحصل على الجنسية البرازيلية. لم تكن البرازيل مكانًا محبوبًا لأهل بيت لحم، ولكنها كانت محبوبًا للبنانيين. وكان زوج كريمة من مرج عيون وهذا ما يفسر اختياره للبرازيل.

على كل حال لم تبق كريمة وزوجها يوسف وابنهما سمير طويلًا في البرازيل، عادوا بعد بضعة أشهر إلى بيت لحم. ثم هاجر ابنهما سمير لاحقًا إلى البرازيل في أواسط الخمسينيات وبقي فيها حين وفاته.

ونستطيع أن نخمن من هذه القصص أن الهجرة إلى أمريكا الجنوبية استمرت ما بعد الحرب العالمية الأولى وأنه كان هناك الكثير من الذهاب والإياب في معظم العائلات المُقسمة ما بين بيت لحم وأمريكا الجنوبية. فبالنسبة للبعض كانت أمريكا الجنوبية تعني الثراء والتجّاح في حين أنها جلبت للبعض الآخر خيبة الأمل وحتى الموت.

وقد كتب القس Gerhard Jentsch الذي أصبح راعيا لكنيسة الميلاد اللوثرية في بيت لحم بين ١٩٢٦-١٩٣٩ في واحد من أوائل تقاريره بعد وصوله إلى بيت لحم الملاحظة التالية:

«يوجد هناك ما يقرب من ١٢,٠٠٠ تلحمي يعيش نصفهم في أمريكا (لاحظوا أنّ الناس لم يكونوا يُميّزون ما بين أمريكا الشماليّة أو الجنوبيّة/ اللّاتينيّة). وهم يعيشون هناك عيشة الحرمان والمشقة كتجار فقراء يذهبون من بيت إلى بيت لبيعوا منتجاتهم الصّدفية أو أية أشياء أخرى. وبالتّغيير والمشقة الشديدين يتسلّقون السّلم ببطء لكن بثبات: يشترون أوّل الأمر حماراً، ثمّ عربة خيل ثمّ يمتلكون دكّانا حقيقيّاً. وعندما يُحالفهم التّجّاح يرجعون لبيّنوا لأنفسهم فيلاً كبيرة في ضواحي المدينة حيث يوجد عدد من الفيّلات المتشابهة.» وهذه الفيّلات هي إحدى السّمات الهامّة لحقبة الانتداب البريطانيّ.

وتحت سيطرة القوى الأوروبيّة فقدّ اقتصاد الشّرق الأوسط استقلاليتّه وتميّز بالتّجارة الدّاخليّة، وأصبح مُهمّشاً وتابعا للاقتصاد الأوروبيّ. وفي هذا الوقت أخذت البضائع الأوروبيّة تُغرق أسواق الشّرق الأوسط بالسيّارات والأزياء الغربيّة وأقلام البليكان والأواني الفضيّة وصارت الكثير من السّلع الاستهلاكيّة الأوروبيّة تُباع في الشّرق الأوسط. وصارت الطّبقة المتوسّطة في المدن تطلب هذه الأشياء. وقد تطلب هذا التّمط الجديد من الحياة أحياء برجوازيّة وفيّلات بُنيّت خارج المدن الكبرى بما يرافقها من بُنية تحتيّة وبساتين ونمط هندسيّ أوروبيّ.

لا بدّ أنّ هجرة أهالي بيت لحم في بدايات القرن العشرين كانت صادمة. فقد فقدت بيت لحم خلال عقد واحد من الزّمان أكثر من نصف سكانها. وفي نفس الفترة فقدت بيت جالا حوالي ثلث سكانها. ويقول القسّ جينش: إنّ نزعة الهجرة لدى أهالي بيت لحم استمرّت إلى ما بعد نهاية الحرب العالميّة الأولى. والمعلومات التي يُطلعنا عليها مُستقاة من عدد خريجي المدرسة اللوثرية في بيت لحم ذات دلالة واضحة. ويقول: إنّهُ لم يبقَ في بيت لحم من بين ال ٢٦ طالبا الذين تخرّجوا من المدرسة اللوثرية سنة ١٩٢٥ إلّا ثلاثة سنة ١٩٢٨، وإنّ ١٦ منهم قد سافروا إلى أمريكا.

بعد سنة، يكتب القسّ Jentsch عن الطّابع المتغيّر لبيت لحم ويقول: إنّهُ بالإضافة إلى القدس وحيفا فإنّ بيت لحم هي المدينة التي تظهر فيها الثّقافة الأوروبيّة والأمريكيّة واضحة جليّة. ففي الوقت الذي كانت فيه التّغيّرات في حيفا مرتبطة في الحماس البريطانيّ لجعل حيفا - وهي المحور البريطانيّ - شيئاً مميّزاً، والتّغيّرات في القدس مرتبطة بتدفّق المهاجرين اليهود. يعزو القسّ ينش التّغيّرات في بيت لحم إلى فكرة الهجرة. ويكتب: إنّ المهاجرين التّلحميين لم يرجعوا ومعهم فقط الكثير من المال، وإنّما أيضاً الكثير من العادات السيئة مثل شرب الكحول والانتحار والقتل.

وفي رسالة سابقة يكتب القسّ ينش عن دعوة إلى عشاء في بيت جالا وجهتها إليه عائلة أبو دية حيث قدّمت له بيرة منشتر أي مصنوعة في مدينة ميونخ في المانيا، ويكتب: إنّهُ لم يكن بالإمكان الحصول على سلع أوروبيّة كثيرة في بيت لحم أو بيت جالا مثل الزّبد أو الفواكه المحفوظة أو البطاطا، لكنّ البيرة الألمانيّة كانت متوفّرة. ويكتب: إنّهُ لم يرَ أبداً أصنافاً كثيرة جدّاً من البيرة كما في دكاكين بيت لحم، حيث توجد المئات من صنّاديق الكرتون من البيرة. فبالنسبة له؛ إنّ هذا مرتبط بالعادات التي جلبها معهم المهاجرون العائدون إلى فلسطين.

وتسلّط سجلّات الكنيسة لفترة ما بين الحربين العالميّتين الأضواء على هدف مُهمّ آخر. فبسبب توسّع إدارة الانتداب البريطانيّ؛ فقد تمّ توثيق الهجرة الدّاخليّة أيضاً. فقد انضمت إلى الكنيسة الكثير من العائلات الجديدة من أنحاء أخرى من فلسطين، فقد جاء الكثيرون إلى بيت لحم كموظفين حكوميين وبقوا فيها. وهنا نستطيع أن نقرأ عن فؤاد خوري الموظّف في عيادة صحّة الخليل وداود حتّا يوسف مترجم في المحاكم ونصّرات ناصر، أصله من الناصرة لكنّه عُيّن ليعمل مُمرّضاً في مستشفى الأمراض النفسيّة العقلية في بيت لحم ونعيم المعلّم الذي عمل في مدرسة الأحداث الدّاخليّة، وجميل إبراهيم العلّم مدير

مكتب بريد بيت لحم (وتوما بسوس الذي عمل في جمعية الشبان المسيحية). لقد كانت الهجرة الداخلية من السمات الهامة للانتداب على فلسطين.

خبرة الشتات بعد النكبة

كانت ١٩٤٨ نقطة حاسمة في التاريخ الفلسطيني؛ ففي تلك السنة فقد الفلسطينيون ٧٧٪ من فلسطين التاريخية لتصبح دولة إسرائيل. أكثر من ٧٠٠,٠٠٠ فلسطيني فقدوا أراضيهم وبيوتهم ووظائفهم، وأصبحوا لاجئين. وأصبحت الضفة الغربية تحت الحكم الأردني سنة ١٩٤٩ في حين وقع قطاع غزة تحت الحكم المصري، ولذلك أصبحت بيت لحم جزءاً من الضفة الغربية وبالتالي جزءاً من الأردن.

حقيقة إن بيت لحم لم تحتلها إسرائيل في تلك السنة يعني أن المدينة قد سلمت من إخلاتها من السكان وتدميرها، أو من تطهيرها عرقياً مثل مدن فلسطينية أخرى داخل الخط الأخضر. وعلى أية حال فإن ضواحي الطبقة المتوسطة الجديدة التي في ضواحي القدس الجنوبية والتي بناها أهالي بيت لحم ومن ضمنهم العائدون من أمريكا الجنوبية قد وقعت تحت الاحتلال. وهكذا ضاع أي احتمال للنمو والتوسع، وفي الوقت ذاته تم احتلال مدرستين ألمانييتين كبيرتين في القدس (مدرسة شنلر ومدرسة طاليتا قومي) وتم إخلاء جميع الموظفين والطلاب الذين هرب الكثيرون منهم إلى القدس القديمة والبعض الآخر إلى بيت لحم.

إن تأثير النكبة على كنيسة الميلاذ اللوثرية، وهي طائفة صغيرة في الضفة الغربية يمكن أن تراه في رسالة القس إلياس شحادة إلى السيد ملكيان المدير المساعد للاتحاد اللوثرية العالمي في ١٥ نيسان سنة ١٩٥٠. ففي الرسالة التي يصف فيها طائفة بيت لحم (بما فيها طائفة بيت ساحور) يُقسّم القس شحادة الطائفة إلى خمس فئات:

الفئة (أ): وهم اللوثريون الذين كانوا يعيشون في بيت لحم قبل سنة ١٩٣٩ وعددهم ١٧٣ فرداً وهم:

أنطون خوري، عفيف حنونه، اسين بولس، بشارة الرّاهب، دية نصار، داود أبو قيع، إلياس سابا، فرحة البندك، حنة جميل، اسحق سمعان، جميلة أبو دية، عيسى الطويل، عيسى عطالله، جابر نصار، جوليا بيوك، جميل زريقات، خليل جبرائيل، خليل أبو عيطة، كريمة اسطفان، خليل جحا، خليل باسيل، لويزا حنانيا، ليديا حداد، منصور خير، مريم جميل، ميشيل باسيل، مرغريت نجاريان، نصرات ناصر، نعيم عوده، رتيبة شقير، روجينا باسيل، صموئيل اسحق، سلومة سمعان، صموئيل عبد الأحد، صوفيا خياط، توفيق سرور، توفيق باسيل، وديع عطا، ميشيل دوميت، والسيدة لوينسن.

وقد ركزت الفئة (ب) على اللاجئيين اللوثرين الذين كانوا يعيشون في بيت لحم أثناء فترة الاضطرابات وعددهم ١٦٠ وهم:

أندوني حصري، أنطون أغابي، عوض فضول، شارلي عازر، إميل كافالكانتي، إلياس ناصر، فواد حبش، هنري مطر، حنا قمر، حنا فريج، حنا فلاس، حنة خضر، إبراهيم عيسى، جليل يوسف، عيسى قعوار، عيسى سوداح، عيسى طنوس، إبراهيم جورج، د. خضر كششيان، متري مستكلم، موسى سعادة، ماري يوسف، شمسة كافالكانتي، صليبيا فضول، سمية مستكلم، تيودور مزهر، وليام مطر، يوسف نصر الله، يرميا يرميان، لو دفيك فايت.

الفئة (ج): وهي العائلات التي انضمت إلى الكنيسة سنة ١٩٤٨ وهم أعضاء في الكنيسة وعددهم ٤٠ فرداً ومن بينهم:

إلياس زغبى، حنا خوري، جريس أبو عياش، سليم جابر، يوسف عطا لله.

الفئة (د): وهي عائلات لوثرية اضطرت أن تغادر بيت لحم سعيًا وراء المعيشة وعددهم ٣٥ ومنهم:

عبد جبرائيل، بشارة أسعد، إلياس فريج، جميل حشوة، سعيد مريع، وردة الطمس، وفريدرش ثوما.

الفئة (هـ): وهم لاجئون بروتستنت من غير اللوثرين (الانجليكان، معمدانيتين، كنيسة التحالف) هم يعيشون الآن في بيت لحم وكانوا يواظبون على حضور الصلاة وعددهم ١٢١ ومنهم:

أمين صفوري، أديب قبسي، عزيزة داود، داود بولس، داود عبّاسي، فريد عكاوي، فرهود فرهود، حتّا رزق الله، إبراهيم طقطق، جميل العلم، جليل إيراني، ليزا عكاوي، لطفي قمري، مرغريت خوري، ميلادة قبطي، مريم قرّة، ميلادة أبو عاقلة، نظيرة كلاركس، نعمة عبّاسي، نجيب خوري، نجيب بهنان، رفيق حسن، سميح مسلم، صليبا أبو صبحّة، شكري صالح، وهبه عصفور، صليبا قبسي، صبحّة أبو صلاح، إلياس عميرة، وسليم هنديلة (وعددهم ٢٩ أنجليكانيّ)، أنيستي حشوة، اسحق ح. جميل، اسحق جبرا جميل، صموئيل اسحق جميل، (وعددهم أربع عائلات من كنيسة التحالف)، سيسيل قرّة، صموئيل هندو (عائلتان معمدانيتان).

هذه الإحصائيات الدقيقة من سنة ١٩٥٠ مروّعة. وبالاختصار فإنّ النكبة جلبت تغييرًا كبيرًا إلى تركيبة الكنيسة. فمن بين مجموع ٥٢٨ عضو في الكنيسة، كان تقريبًا ثلثاهم من اللاجئيين.

وبعد ذلك بثلاث سنوات، أي في سنة ١٩٥٣ قدّم القس شحادة إحصائيات أكثر تفصيلًا، وفي هذه السجلات كان عنده أربع فئات فقط (٢٩٧) عضوًا. اللوثريون الذين غادروا بيت لحم بشكل مؤقت (٤١)، لوثريون غادروا بيت لحم بشكل نهائيّ (٩٣)، والانجليكان الذين كانوا مرتبطين بالكنيسة (٦٧).

العائلات اللوثرية المذكورة سنة ١٩٥٣ هي:

عيسى عطا الله، توفيق ابو عطا، داود أبو قبع، إبراهيم عطا، وديع عطا، فريدة عبّاسي، فهد أبوغزاة، صموئيل عبد الأحد، اسطفان عبد، خليل أبو عيطة، يوسف عطوان، أسعد علاوي، رفعت علاوي، إبراهيم عازر، صليبا أبو صبحّة، فريد عكاوي، سعيد عصفور، أسين بولس، يوسف باسيل، توفيق باسيل، ميشيل باسيل، روجينا باسيل، خليل باسيل، حتّا قسيصة، نجيب قعوار، جودة دقماق، ظاهر نصّار، عزيزة داود، عوض فضول، صليبا فضول، حتّا فيلاس، حتّا فريج، حتّا جورج، أندوني حصري، لوسي حلبي، يوسف حلبي، لويزا مطر حنانيا، نعمة حنانيا، عفيف حنونة، مريم حنوش، حتّة جميل، جبرا جميل، ابراهيم جميل، عيسى جحا، خليل جبرائيل، أنطون خوري. د. ككشيان، منصور خير، قسطندي خوري، صوفي خياط، عودة أندراوس متري، متري مستكلم، جبران مطر، هنري مطر، وليم مطر، نصرات ناصر، يوسف نصر الله، مرغريت نجاريان، موسى نصار، جابر نصّار، إلياس ناصر، نعيم عودة، وردة قبسي، بشارة الزّاهب، جون روجري، موسى سعادة، حبيب سابا، أولغا سليم، اسحق سمعان، توفيق سرور، سالومة سمعان، رتيبة شقير، إلياس شحادة، يوسف شحادة، راجي شحادة، عيسى الطويل، حتّا يوسف، ميخائيل زبانه، إلين زابورة، يرميا يرميان.

الذين غادروا بيت لحم بشكل مؤقت هم: صموئيل عبد الأحد إلى عمّان، سعيد عصفور إلى القدس، حتّا فيلاس إلى رام الله، د. ككشيان (إلى بير زيت أو البيرة؟) قسطندي خوري إلى عمّان، متري مستكلم إلى القدس، موسى نصّار إلى القدس، جون روجيري إلى القدس، موسى سعادة إلى بير زيت، اسحق سمعان إلى الكويت، راجي شحادة إلى دمشق، حتّا يوسف إلى دمشق. ثلث الذين غادروا بيت لحم بشكل مؤقت ذهبوا إلى القدس. ٦٠٪ منهم بقوا في الصّفّة الغربيّة في حين غادر اثنان إلى عمّان واثنان إلى دمشق/سوريا.

عدد العائلات اللوثرية التي غادرت بيت لحم ١٨ عائلة مجموع عدد أفرادها ٩٣ فردا وهؤلاء كانوا:

سيفاد ليان أراسكي إلى الأناضول، بشارة أسعد إلى القدس، إميل كفالكانتي إلى دمشق، إلياس الحج إلى عمان، إلياس فريج إلى القدس، فؤاد حبش إلى القدس، فريدرش ثوما إلى عمان، حنة خضر إلى القدس، هاجوب شاهنيان إلى إسرائيل، إبراهيم عيسى إلى عمان، عيسى سوداح إلى عمان، جميل حشوة إلى القدس، عيسى طنوس إلى الزرقاء/الأردن، خليل باسيل إلى طرابلس/ لبنان، السيدة لونسون إلى الزرقاء، لودفك فايت إلى عمان، ماري يوسف إلى القدس، سعيد مريع إلى القدس، وليام مطر إلى الزرقاء، وردة طمس إلى القدس.

جميع الذين غادروا بيت لحم بشكل دائم هم لاجئون من عام ١٩٤٨. وثلثهم (٩٣ من أصل ٢٨٢) وصلوا إلى بيت لحم سنة ١٩٤٨ وغادروها في غضون أول خمس سنوات، فبالنسبة لهم كانت بيت لحم محطة إلى وجهة أخرى. كانت القدس الوجهة النهائية لنحو ٤٥٪ منهم، الاحتمال الأكبر أنهم من العائلات التي شرّدت من القدس. وال ٤٥٪ الباقون منهم ذهبوا إلى الأردن. والسبب في ذلك هو أن بيت لحم أصبحت الآن جزءا من الأردن التي كانت عاصمتها عمان تنمو وتجذب الشباب الفلسطينيين المتعلمين ميسوري الحال. وكانت الدول العربية المجاورة تفعل نفس الشيء لكن بدرجة أقل، والوجهة إلى لبنان أو سوريا. اثنان من الأرمن البروتستنت أيضا هاجرا - وهذا استثناء - إلى الأناضول وإسرائيل.

تجربة الشتات خلال الحكم الأردني

إذا نظرنا إلى تركيبة كنيسة الميلاذ اللوثرية بين سنتي ١٩٤٩ و١٩٦٧ عندما أصبحت بيت لحم تحت الحكم الأردني نجد السمات التالية:

(١) الاستثمار في الدراسة بالخارج

إن ردة فعل المجتمع الدولي للكبة سنة ١٩٤٨ وفشل الأمم المتحدة في مساعدة فلسطين بالانتقال من الانتداب البريطاني إلى حل سلمي وثابت كانت على شكل مساعدات إنسانية للاجئين. فقد أنشئت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) لهذا الغرض بالتحديد. لكن العديد من الكنائس أرادت أن تساعد الفلسطينيين بطرق مختلفة؛ كانت إحداها تقديم المنح الدراسية للفلسطينيين للدراسة في الخارج.

وقد علمت الكبة الشعب الفلسطيني الذي فقد أرضه وممتلكاته أن التعليم هو شيء لا يستطيعون فقده، ولا يستطيع أحد أن ينتزعه منهم. لهذا السبب نجد اهتماما لا يُصدق بين الفلسطينيين لمتابعة دراساتهم العليا. حيث إنه لم يكن هناك بعد جامعات في فلسطين، كان على الطلاب البحث عن جامعات في الخارج. وكانت الصلة ما بين الكنائس البروتستنتية في أمريكا والمنظمات الألمانية التابعة للكنيسة عاملا هاما في تأمين هذه البعثات.

إن النزعة للدراسة في الخارج هي من سمات كنيسة الميلاذ اللوثرية في بيت لحم. فمن بين ال ٨٥ عائلة المسجلة سنة ١٩٥٣ كان ٣٣ طالبا يدرسون في الخارج. وهذا يعني أن أربعا من بين كل عشر عائلات كان عندها طالب يدرس في الخارج: ١٤ منهم (٤٢٪) كانوا يدرسون في الولايات المتحدة، وعشرة (٣٠٪) في ألمانيا وأربعة (١٢٪) في بيروت واثنان في السويد وواحد في كل من القاهرة وبغداد ولندن. وليس من قبيل المصادفة أن الولايات المتحدة وألمانيا كانتا أهم وجهتين، وهذا يرجع إلى الروابط ما بين الكنيسة والولايات المتحدة عن طريق مدير الاتحاد اللوثرية العالمي الدكتور مول وبين الكنيسة وألمانيا بواسطة الروابط التاريخية التي تربط الكنيسة بألمانيا. وهذا يُفسر لماذا جاءت بيروت في المرتبة الثالثة بصفقتها محور المثقفين العرب ومقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

ومن الحقائق المذهلة أيضا أنه من بين الـ ٣٣ لوثرياً الذين ذهبوا للدراسة في الخارج خلال فترة الحكم الأردني، لم يرجع ٢٦ منهم (٨٥٪) إلى فلسطين لأسباب عديدة منها: إن الكثير منهم صادفوا نجاحا باهرا: ثلاثة منهم حصلوا على شهادة الدكتوراة، وآخرون لم يرجعوا لأنهم في الخارج في حزيران ١٩٦٧ ولم تسمح لهم إسرائيل بالعودة، وفريق ثالث انتهى به المطاف إلى العمل في بلد ثالث غير البلد الذي درس فيه.

والسمة الهامة الثانية لهذه الفترة كانت هجرة العامل؛ ففي الوقت الذي كان فيه اقتصاد الضفة الغربية راكدا، كانت الدول الأخرى في المنطقة والخارج بحاجة ماسة إلى عمال مهرة. إن اكتشاف وإنتاج النفط في منطقة الخليج وكذلك في ليبيا جلب العديد من الفلسطينيين المتعلمين المهرة الذين حصلوا على فرص عمل في تلك الدول النامية.

ولا غرابة أن الكثير من أعضاء كنيسة الميلاذ اللوثرية سافروا إلى الخارج: ٣٠ منهم على الأقل كان لديه وظيفة ثابتة في الخارج. ٨٠٪ منهم يعملون في الدول العربية ٦ (٢٠٪) في الكويت، ٤ (١٣٪) في كل من قطر والأردن ولبنان، ٣ (١٠٪) في ليبيا، وواحد في كل من مصر وسوريا والعربية السعودية. ٤ (١٣٪) في ألمانيا، وواحد في كل من الولايات المتحدة وأستراليا. وعاد فقط ٤ (١٣٪) منهم إلى فلسطين لاحقا، اثنان من ليبيا بسبب التغيير السياسي هناك وواحد من ألمانيا.

وعلى أية حال فإنه واضح من سجلات الكنيسة أن روابط أولئك الأعضاء الذين يدرسون أو يعملون في الخارج مع بلدهم وكنيستهم وعائلاتهم كانت لا تزال قوية جدا. فالطلاب الذين يدرسون في الولايات المتحدة وأوروبا والعالم العربي كانوا يرجعون في الصيف بشكل منتظم. وكانوا يتلهفون أن يُعمدوا أطفالهم في كنيسة الميلاذ اللوثرية بمشاركة أفراد عائلاتهم. ٣٦ (١٦٪) من بين ٢٢٠ معمودية التي جرت في الكنيسة بين سنتي ١٩٤٨-١٩٦٧ كانت

لأطفال يعيش والداهم في الخارج: ٨٠٪ منهم كانوا يعيشون في الدول العربية المجاورة (١٦ في الأردن، ٦ في لبنان، ٣ في سوريا، ٢ في ليبيا، ٢ في الكويت) والباقيون في إنجلترا (٥)، الولايات المتحدة (٢). وهذا يدل على أنه كلما كان أعضاء الكنيسة في الخارج أقرب إلى فلسطين كانت احتمالية رجوعهم إلى بيت لحم بشكل منتظم أكبر.

وفي منتصف الستينيات، هبط عدد أعضاء الكنيسة بـ ٣٠٪ إضافية، من ٣٦٤ إلى ٢٦١ في ٨١ بيت. ونظرة أقرب إلى تركيبة تلك البيوت التي بقيت، تبين الميزات التالية:

ثلث (٢٧) أرباب تلك الأسر يعملون في سلك التربية والتعليم: ١٦ في المدارس اللوثرية، ٥ في المدارس الحكومية، ٣ في مدارس وكالة الغوث، ٣ في مدارس مسيحية أخرى.

ربع العائلات (٢١) إما من كبار السن أو المتقاعدين وبدون عمل. ١١ لديهم أشغال بسيطة، ٦ موظفين في قطاع السياحة في وكالات السياحة والسفر، أو إنتاج التذكارات. ٥ يعملون في قطاع الصحة، ٣ ميكانيكيين، ٢ في صناعة الحجر، ٢ في الزراعة والباقيون من الموظفين. وهذه السمات تدل على مجتمع محزن؛ حيث إن الغالبية العظمى من القوى العاملة كانوا إما معلمين أو موظفين حكوميين، وينقصه أعضاء مبادرون أو أولئك الذين لديهم الوسائل المادية والإمكانات.

تجربة الشتات ما بعد النكبة (الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية)

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ احتلت إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان. واحتلال إسرائيل لبيت لحم كان له نتائج كثيرة بالنسبة لأعضاء كنيسة الميلاذ اللوثرية.

أولاً: أولئك الأعضاء الذين لم يكونوا موجودين في فلسطين خلال حرب ١٩٦٧ فقدوا حق الإقامة في الصّفّة الغربيّة وحق العودة إليها، واعتُبروا من الغائبين. والأغلبية ساحقة من أولئك الذين كانوا يدرسون أو يعملون في الخارج مُنعوا من العودة إلى بيت لحم. لم تفقد فلسطين عددا كبيرا من أفضل المتعلمين والتّاجحين والمهّرة فقط، لكنّ هذا يعني أنّ الكنيسة اللوثرية قد فقدت وإلى الأبد بعضاً من أفضل أعضائها واحتمالية النّمو والازدهار في المستقبل.

ولسوء الحظّ، ليس لدينا قائمة شاملة بأسماء أعضاء الكنيسة من سنة ١٩٦٧/١٩٦٨ لغرض تقييم التأثير المباشر لحرب ١٩٦٧. وعلى أيّة حال فليس لدينا أيّة معلومات عن العائلات اللوثرية التي هربت أثناء أو بعد الحرب مباشرة، ويبدو أنّ الناس كانوا في وضع «ابق وانتظر» لعدّة سنوات. وتدلّ السجّلات أنّ هؤلاء الأعضاء الذين كانوا يعيشون في الخارج ويحملون جوازات سفر أجنبيّة لا يزالون يحضرون بصورة منتظمة في الصّيف لحفلات الزواج والمناسبات العائليّة.

وفي منتصف السبعينيّات اتّضحت تغييرات وانتقالات كثيرة منها: إنّ الكثير من أولئك الأعضاء الذين يعملون في الدّول العربيّة واستراليا تركوا هذه البلاد وهاجروا إلى الولايات المتّحدة، كندا، حيث استقرّوا بشكل نهائيّ. ومن بين ال ١٢٩ معموديّة التي أُجريت بين سنتي ١٩٦٩-٢٠١٥، ١٦ (١٣٪) كانت لأطفال يعيشون في الخارج. وقبل ١٩٦٧، ٨٠٪ من تلك المعموديّات أُجريت لأطفال يعيشون في البلاد العربيّة المجاورة، في حين أنّ ٧٥٪ أُجريت الآن لأطفال يعيشون في العالم الغربيّ (عشرة في المانيا والتّمسسا، واحد في الولايات المتّحدة، واحد في كندا) وفي تلك الفترة تمّ تعميد ثلاثة أطفال فقط كانوا يعيشون في العالم العربيّ: اثنان في الكويت وواحد في دبي.

ثانياً: عدد متزايد من العائلات التي كانت لا تزال تعيش في بيت لحم غيرت مكان سكناها وهاجرت بشكل دائم إلى نفس تلك الدّول الغربيّة.

ثالثاً: هذه النّظرة على العالم الغربيّ نتج عنها تبادل ثقافيّ قويّ لم يكن موجوداً من قبل. فقد تمّ عقد ٧٥ زواج في كنيسة الميلاذ اللوثرية بين عامي ١٩٧١ و ٢٠١٥، ١٨ (٣١٪) منها كانت بين ثقافات مختلفة (ثمانية مع المان، سبعة مع أمريكيين، اثنان مع هولنديين، وواحد مع لاتفانية)، ولا تزال الرّوابط قويّة مع ألمانيا والولايات المتّحدة، فكلّ أولئك الذين تزوّجوا باستثناء ثلاثة؛ انتهى بهم المطاف إلى العيش في الخارج وأصبحوا بالتّالي جزءاً من الشّتات.

رابعاً: أولئك الذين ولدوا في الشّتات بعد ١٩٤٨ وبعد أن استقرّوا في الغرب، فقدوا صلّتهم بالكنيسة التي عمّدوا فيها هم وآباؤهم، وهكذا لم يُعمّد أطفالهم هنا ولا تربطهم أيّة روابط مع كنيسة الميلاذ اللوثرية.

خامساً: نزعة الشّبّاب من أعضاء كنيسة الميلاذ اللوثرية إلى مواصلة دراستهم الجامعيّة في الخارج استمرّت في السبعينيّات والثمانينيّات وتعاضمت. وكانت ألمانيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة الوجهتين الأكثر شعبيّة للدراسة. القليلون ذهبوا إلى كندا واستراليا.

سادساً: حدثت في أوائل الثمانينيّات ظاهرة جديدة بالاهتمام؛ كثير من الطّلاب الذين أنهوا دراساتهم العليا في الخارج قرّروا أن يعودوا. وكان أكثر ما يشدّ غالبيتهم هو ظهور الجامعات الفلسطينيّة. ونجد هنا أعضاء في الكنيسة يُعلّمون في جامعات بير زيت وبيت لحم وأبو ديس، وحتّى جامعة اليرموك في الأردنّ. وظاهرة مشابهة نُشاهدها عقب تأسيس ديار وكتيّة دار الكلمة الجامعيّة للفنون والثّقافة في بيت لحم على يد راعي كنيسة الميلاذ اللوثرية القسّ الدكتور متري الرّاهب. لقد رجع الكثيرون من الأعضاء من حَملة الشّهادات العليا ليشاركوا في هذه الرّؤية. وفي الوقت الذي قرّر فيه أغلبية أولئك الذين عادوا في أوائل الثمانينيّات الهجرة ثانية، فإنّ الذين رجعوا ليرتبطوا مع ديار وكتيّة دار الكلمة الجامعيّة بقوا في البلاد.

إذا ما قارنًا أعضاء كنيسة الميلاذ اللوثرية الذين استمروا في العيش في بيت لحم اليوم مع أولئك الذين كانوا في بيت لحم سنة ١٩٥٠ نرى كيف أن الأغلبية الساحقة من الأعضاء السابقين هم في الشتات. فمن بين ٤٢ عائلة لوثرية كانت تعيش في بيت لحم قبل النكبة، نجد أن ثلاثًا منها موجودة في بيت لحم بشكل كامل اليوم في حين أن أربع عائلات أخرى موزعة ما بين بيت لحم والشتات. وهذا يعني أن حوالي ٩٠٪ من أولئك الأعضاء الأصليين ليسوا متواجدين في بيت لحم بل في الشتات.

ومن بين ٧٠ عائلة بروتستنتية لجأت إلى بيت لحم سنة ١٩٤٨ لم يبق إلا عائلتان منها في البلد وأربع عائلات أخرى موزعة ما بين فلسطين والولايات المتحدة. وهذا يعني أن ٩٥٪ من العائلات اللاجئة قد غادرت بيت لحم بين سنتي ١٩٤٨ و ٢٠١٠. وسوف يكون مهمًا في المستقبل أن نحاول تتبع آثار كل عائلة ونرى أين انتهى بهم المطاف وهكذا نجمع خارطة للشتات اللوثرية الفلسطينية، خصوصًا أنه لا يزال لنا اتصال مع حوالي ٢٣ (٢٠٪) من العائلات اللوثرية في الشتات.

كيف كان من الممكن أن يبدو المستقبل لو أن الأمور أخذت مسارًا مغايرًا؟ لو كان هناك استقرار سياسي؟ لو لم تكن هناك نكبة أو نكسة؟ لو لم يكن هناك عدم تطوّر واحتلال؟ لو اتخذ التاريخ مسارًا مغايرًا لكان عدد أعضاء كنيسة الميلاذ اللوثرية اليوم أكثر من ٤,٠٠٠ عضو بدلًا من ال ٣٠٠ عضو الحاليين.

ملاحظات ختامية

إنّ الكثير من الدراسات عن الشتات الفلسطيني مرتبطة بالنكبة ومسألة اللاجئين. وكون كنيسة الميلاذ اللوثرية موجودة في بيت لحم، وبالتالي في الأراضي الفلسطينية التي احتلت سنة ١٩٦٧ يعطينا زاوية نظر مختلفة لقضية الشتات الفلسطيني. إنّ ما تظهره هذه الدراسة هو أن هجرة الفلسطينيين عمومًا

والفلسطينيين المسيحيين خصوصًا مرتبطة بالامبراطوريات والقوى التي توالى على التحكم في فلسطين واحتلالها لها أسباب سياسية بشكل رئيس؛ فتجنيد المسيحيين على يد تركيا الفتاة، النكبة وخسارة الأرض وأسباب المعيشة وتردي الأوضاع في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، والاحتلال الإسرائيلي المستمر للضفة الغربية. وفي الوقت الذي لعبت فيه العوامل الاقتصادية عاملاً دافعاً مهمًا على الهجرة، فقد كانت دائما نتيجة للتطورات السياسية. والحقيقة المدمرة هي أن الهجرة الفلسطينية ليست شيئاً لمرة واحدة، بل هي جرح مفتوح باستمرار لا يزال ينزف دون أن تلوح له نهاية. وهكذا، فهذه الدراسة تُظهر أن كنيسة الميلاذ اللوثرية تُعطي نموذجاً مصغراً للمجتمع الفلسطيني، ومرآة للتاريخ الفلسطيني خلال المئة والخمسين سنة الماضية.

وأخيرا وليس آخرا يُظهر هذا البحث أن خبرة شتات الفلسطينيين المسيحيين/ اللوثرين هو جزء لا يتجزأ من خبرة الشتات الفلسطيني الأكبر بالرغم من أن هناك تميّزا للخبرة المسيحية.

إن استمرار الاحتلال للضفة الغربية وخنق بيت لحم بالأسوار والمستوطنات اليهودية وغياب أيّ منظور سياسي في الأفق ستؤدي إلى تفشي البطالة والتوتر الاجتماعي والجريمة مما يدفع فلسطينيين مسيحيين أكثر إلى الهجرة. إنّ تشعب ما يُسمى بالرّبيع العربي وزيادة الاتجاهات الدينية الأصولية في المنطقة وتقلص مساحة التسامح الاجتماعي والديني والسياسي لهما عوامل تُسرّع الهجرة المسيحية من المنطقة بشكل عام، وهذا سيضع كنيسة الميلاذ اللوثرية في خطر.

ملحق رقم ٢

كريمة عبود: رائدة التصوير النسوي في فلسطين

القس د. متري الراهب

(١) كريمة عبود: المرأة خلف العدسة

بالرغم من عدم وجود دراسات كثيرة عن حياة كريمة عبود، إلا أننا نستطيع أن نستنبط الكثير من حياتها من المحيط الاجتماعي والديني للعائلة التي شبت فيها كريمة، حيث تشكلت فيها شبكة علاقاتها واهتماماتها وتطورت هويتها. ومن يتتبع خيوط هذه العائلة لا بد أن يكتشف دوائر عديدة أثرت في حياتها وأثرتها تجاربها ومنها:

الدائرة الإنجيلية

كما سبق وأسلمنا أن جد كريمة دعيبس كان أحد طلائع الإنجيليين في منطقة مرجعيون... كما وعمل كل أعمامها في السلك الإنجيلي الكنسي والتبشيري. وكان أبوها سعيد قد درس في دار الأيتام السورية، إحدى أعرق المدارس والمعاهد الإنجيلية في حينها، وعمل والداها في مطلع حياتهما المهنية في مدرسة إنجيلية وانضموا معاً إلى كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية قبل أن يصبح أبوها واعظاً وراعياً لهذه الكنيسة في مطلع التسعينات من القرن التاسع عشر حيث خدم فيها حتى عام ١٩٤٧. ويظهر هذا جلياً في حياة كريمة فقد ولدت كريمة في مدينة بيت لحم في ١٣/١١/١٨٩٣ وتعمّدت في الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم في ١/٤/١٨٩٤ على يد القس عمانوئيل مولر وهناك أيضاً تثبتت

في ١٩١٠/٩/٢٥، وتزوجت في ١٩٣٠/٨/٣١ على يد والدها ودفنت في مقبرتها في ١٩٤٠/٤/٢٧ وقام بمراسم الجنازة والدفن كل من البروبست دورنغ والقس شديد باز حداد. ومن هنا يمكننا القول أن كريمة منذ ولادتها وحتى وفاتها كانت لوثرية وعضواً فاعلاً في كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية، ففيها ترعرعت وفي رحابها نمت ومن هوائها استنشقت وفي ترابها دفنت. ولا أخالها من قبيل الصدفة أن ترى كريمة النور في نفس العام الذي دشنت فيه كنيسة الميلاذ.

ولا شك أن عمل أبيها وشبكة علاقاته وروحانياته الإنجيلية قد اثرت بكريمة بدليل امتناعها عن العمل أيام الآحاد على سبيل المثال لا الحصر.

الدائرة المدرسية

كما سبق وأسلمنا فقد ولدت كريمة عبود في ١٨٩٣/١١/١٣ في مدينة بيت لحم حيث كان يسكن والدها، وفي هذه الفترة بالذات كان كل من والدها وأمها وعمها يعملون في ثلاث مدارس مختلفة. فقد كانت أمها معلمة في مدرسة البنات الإنجيلية في بيت لحم، أما أبوها فقد كان واعظاً في مدرسة طاليثا قومي الألمانية للبنات في القدس، أما عمها سليمان فكان يعمل في دار الأيتام السورية والمعروفة بمدرسة شنلر.

وفي عام ١٨٩٩/١٨٩٠ ومع بلوغ كريمة سن السادسة، حان الوقت كي تتحقق بإحدى المدارس فيما كانت أمها ما زالت تعمل في نفس مدرسة البنات الإنجيلية - (وإن كانت هذه المدرسة قد انتقلت في نفس العام من إدارة التبشيرية الكنسية (Church Missionary Society) إلى إدارة الجمعية التبشيرية الكنسية (Church Missionary Society)). أما أبوها وبصفته راعياً للكنيسة اللوثرية في بيت جالا فقد أدار المدرسة اللوثرية هناك قبل أن ينتقل إلى العمل في الكنيسة والمدرسة اللوثرية في بيت لحم. لذا يمكننا الجزم بأن كريمة

عبود قد بدأت دراستها الابتدائية إما في المدرسة الإنجيلية للبنات حيث كانت تعمل والدتها أو في المدرسة اللوثرية حيث كان يعمل والدها. وإن صح الخيار الأول تكون كريمة قد درست في نفس المدرسة وفي نفس الفترة الزمنية مع «نبهة ناصر» وبالإشتراك مع «رتيبة شقير» التي أسست لاحقاً جامعة بير زيت. أما إن رجح الخيار الثاني وكانت كريمة قد التحقت بالمدرسة اللوثرية، فهذا يعني أنها قد درست في الفترة التي شهدت فيها المدرسة نهضة كبيرة خاصة في قسم البنات، حيث التحق بهذه المدرسة عام ١٩٠٥، ١٢٠ من الأولاد و ٨٠ من البنات، أما المعلمون آنذاك فكانوا: إبراهيم عطا، إبراهيم مطر، سليمان أبو دية، باسيل باسيل، لبيبة سرور، نجمة نسطاس، وديع كنعان بالإضافة إلى الواعظ إسكندر.

ويصعب التكهن بأي المدارس الثانوية كانت قد التحقت كريمة، فلربما تكون قد التحقت بمدرسة طاليثا قومي بالقدس حيث عمل والدها سابقاً أو بدار الأيتام السورية (مدرسة شنلر)، حيث كان يعمل عمها سليمان. على أية حال يبدو أن كريمة عبود عملت بعد تخرجها في مدرسة شنلر كمعلمة كما يظهر جلياً في صورة لها أخذت حوالي سنة ١٩١٩ لمجموعة من موظفي دار الأيتام السورية.

الدائرة الأوروبية

ما إن فتحت كريمة عبود عينيها على العالم حتى أبصرته يزخر بأفراد من ألوان وأعراق مختلفة. ففي نفس السنة التي ولدت كريمة فيها كانت أمها تعمل في مدرسة إنجليزية حيث كان عدد لا يستهان به من المعلمات البريطانيات، فلا عجب إذن أن تكون اثنتان من أشايب كريمة في العماد معلمتان أو زميلتان لوالدتها وهن Mrs. Corry Fennell و Miss Double. وإن دل هذا على شيء إنما يدل على الروابط الوثيقة التي كانت تربط عائلة كريمة بالمبشرين الإنجليز. والشيء نفسه يقال عن أبيها ذلك الذي وإن ارتبط عمله في مطلع حياته المهنية

بالمبشرين الإنجليز في كل من بيت لحم، وغزة، وشفا عمرو، إلا أنه ومنذ عام ١٨٩٩ كان موظفاً من قبل جمعية القدس التبشيرية Jerusalemverein والتي كان مقر عملها في برلين حيث كانت تمول وتدير العمل الكنسي الإنجيلي في بيت لحم.

والحق يقال أن والد كريمه ووالدتها وبحكم دراستهما وعملهما أجادا أكثر من لغة أجنبية، فأتقنت أمها الإنجليزية وتكلمت الألمانية أما والدها القس سعيد عبود فأتقن العربية وعلمها، وتكلم الإنجليزية، بالإضافة إلى إتقانه التام للغة الألمانية كتابه وقراءة، كما تظهر السيرة الذاتية التي كتبها بخط يده عام ١٨٩٩ باللغة الألمانية وبالخط القديم ال Kurrentschrift.

إذن شبت كريمه عبود في جو متعدد اللغات والثقافات مما أثر وبلا شك على رؤيتها للعالم من حولها والذي سنراه لاحقاً يتبلور عبر عدستها. وهذا مما يقطع بلا شك أن كريمه بحكم علاقات عائلتها قد تعرفت ومنذ صغرها على هذه اللغات الثلاث.

الدائرة العائلية

لا ندري لماذا تأخر زواج كريمه، ولكننا نعلم أنها اقترنت عندما بلغت ربيعها السادس والثلاثين بيوسف فارس طابع من مرجعيون مسقط رأس أبيها، وكان حينها ابن ستة وثلاثين سنة حيث تم إكليلهما في ١٩٣٠/٨/٣١ في كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية، وكان زوجها يوسف أرملاً حيث كانت زوجته الأولى قد توفيت قبل زواجه الثاني بسنتين تاركة له طفلاً رضيعاً. أما مهنته فكانت في التجارة. ويبدو أن زواج كريمه ويوسف لم يكن بالزواج الناجح، إذ عاشا منفصلين فبقي يوسف في مرجعيون مع طفله، بينما كانت كريمه تعمل وتنقل بين بيت لحم والقدس وحيفاً. إذ كتبت ليديا عبود في ١٤ شباط ١٩٥٠ في رسالة وجهتها إلى القس إلياس شحادة والذي خلف والدها سعيد في منصبه تقول:

«توفي والد سمير (أي يوسف طابع زوج كريمة) من مده: مات فقيراً جائعاً عارياً ولم يترك لأولاده شيئاً لأنه كان قد باع أكثر أراضيه وكل عفشه الذي بقي من كريمة وصرف الدراهم مبذراً إياها على أشياء تافهة فكانت نهايته محزنة». ويبدو أن الزواج من أعضاء العائلة الممتدة كان نمطاً فكرياً سائداً في عقلية عائلة عبود، حيث تزوجت أخت كريمة الأصغر ليديا في ١٩٤٠/٦/٩ من المعلم إبراهيم إسكندر عبود أشقر من سكان يافا. ولم يعيش سمير بعد انفصال والديه مع أبيه بل عاش مع أمه وجده في بيت لحم، وبقي بعد وفاة والدته في عهدة جده سعيد، وبعد رجوع هذا إلى مرجعيون، إنتقل سمير إلى بيت خالته ليديا، إذ كتبت هذه في ٢ آب ١٩٥٠ تقول:

«سمير مبسوط بصحته ولكن بدون شغل، فالأشغال في لبنان صعبة جداً والمعاشات قليلة: إن هم سمير كبير علي لأني أريده أن ينفع نفسه وهو يريد ذلك أيضاً ولكن الدهر يعاكس.» وقد إنتهى الأمر بسمير في البرازيل حيث هاجر أوائل الخمسينيات من القرن العشرين.

الدائرة الوطنية

عاشت كريمة حقتين زمنييتين في حياتها: فقد ولدت في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني حيث كانت هذه الإمبراطورية تسيطر على بلاد الشام بأكملها وبالتالي لم يكن هناك ثمة حدود سياسية مغلقة بين ما عرف لاحقاً بلبنان وفلسطين، لذلك نرى القس سعيد عبود دائم الترحال في بلاد الشام الواسعة «في فلسطين وشرق الاردن وسوريا ولبنان» ومن ناحية أخرى وعندما خط سيرته الذاتية كتب أنه أنه ولد في قرية الخيام في الجليل الأعلى وبالتالي عرف القس نفسه جغرافياً وليس سياسياً، فهو ينتمي إلى القرية الخيام والمنطقة الجغرافية الأكبر/الجليل الأعلى وذلك في زمن لم تكن الهويات الوطنية الضيقة قد تشكلت بعد، فمن منظور اليوم كان سعيد عبود لبنانياً، ولكن من منظوره

آنذاك لم يكن لبنانياً ولا حتى فلسطينياً بل «جليلياً». والشيء نفسه ينطبق على ابنته كريمة، فقد ولدت في بيت لحم في عام ١٨٩٣، عندما كانت بيت لحم جزءاً من متصرفية القدس العثمانية، ومن منظور اليوم تكون كريمة فلسطينية وإن كانت بجذور لبنانية.

إنتهت الحقبة الأولى التي عاصرتها كريمة مع أنهيار الأمبراطورية العثمانية في عام ١٩١٧ وما لحقها من تغييرات سياسية في الشرق الأوسط أدت إلى تقسيمات جديدة للمنطقة فوضعت أجزاء من الشام تحت الإنتداب الفرنسي وأخرى تحت الإنتداب البريطاني، وشاءت الأقدار بأن يقسم الجليل الأعلى فيقع الجزء الشمالي منه تحت الإنتداب الفرنسي، وبالتالي تصير الخيام جزء من لبنان بينما تقع بيت لحم تحت الإنتداب البريطاني لتصبح جزءاً من فلسطين. ومما لا شك فيه وكما يظهر من الوثائق المختلفة، فقد رأى القس سعيد عبود وابنته كريمة بأنفسهم جزءاً لا يتجزأ من النضال الوطني الفلسطيني، ويظهر ذلك جلياً في الثلاثينيات من القرن العشرين وخاصة إبان الإضراب الكبير عام ١٩٣٦. فقد كان القس سعيد عبود من أوائل القسس الذين تنبهوا لخطر الحركة الصهيونية على فلسطين، بل وكان من أوائل اللاهوتيين الذين انبروا يدافعون عن حقوقهم الوطنية، وراح القس سعيد عبود يعقد ندوات إنجيلية كل يوم خميس وذلك في كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم، ليعالج مواضيع لاهوتية ذات أبعاد وطنية مثل: «الصهيونية والعهد القديم»، «موقف يسوع من الوطن»، «إساءة استخدام الكتاب المقدس». كما كان القس سعيد عبود من القسس الذين دفعوا باتجاه تعريب الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في فلسطين إذ كان أحد الأشخاص العشرة الذين وضعوا دستور الكنيسة الإنجيلية العربية في بيت لحم والتي كانت تهدف إلى أن تضم أفراد الكنائس اللوثرية في كل من بيت لحم، بيت جالا، بيت ساحور والخليل.

والشيء ذاته ينطبق على كريمته «كريمة عبود»، التي راحت تعرف عن نفسها أنها «مصورة شمس وطنية» («المصورة الوطنية الوحيدة في فلسطين».

لقد عاشت كريمة كل حياتها في فلسطين فهنا ولدت وهنا ماتت ودفنت، وعملت كمصورة في بيت لحم والقدس والناصرة وحيفا. ومع أنها تزوجت رجلها من مرجعيون إلا أنها لم تسكن معه هناك، وبالتالي يحق القول إنها أول مصورة شمس فلسطينية.

توفيت كريمة في عام ١٩٤٠ وبعدها بثلاث سنوات في ٢٢/١١/١٩٤٣ أعلنت لبنان انتهاء الإنتداب الفرنسي لتصير دولة مستقلة. ولم تشهد كريمة هذا التحول، الذي ربما كان قد أثر على فهمها لهويتها الوطنية. وهذا ما حدث مع بعض أفراد عائلتها، فأبوها القس سعيد عبود ما أن تقاعد من عمله كقسيس في كنيسة الميلاذ عام ١٩٤٧ حتى قرر هو وابنته ليديا - وربما بسبب حالة عدم الاستقرار التي سادت فلسطين في الفترة التي سبقت النكبة - أن يرجع إلى مسقط رأسه وذلك في أوائل شهر كانون الثاني عام ١٩٤٨. ففي رسالة من ليديا عبود إلى القس إلياس شحادة حررت في ١٤ آذار ١٩٤٨ كتبت تقول:

«حقوق الله أمانينا وأعادنا إلى بلادنا مرة أخرى... سافرتنا كانت متعبة وطويلة جداً: فقد قطعنا شرق الأردن وسوريا ووصلنا إلى الخيام على شوط واحد. وكان وصولنا نحو منتصف الليل وتحت المطر الغزير».

المشكلة التي واجهت ليديا أن أخاها منصور بقي في بيت لحم في مشفى الأمراض العصبية، وصار من الصعوبة بمكان أن ينقل من فلسطين - والتي أصبحت جزءاً من الأردن - إلى لبنان. وفي ٩ آب ١٩٤٩ من نفس العام كتبت ليديا رسالة إلى القس إلياس شحادة تطلب منه أن يتدخل كي يبقى المستشفى أخاها منصور هناك حتى تستطيع أن تكمل أوراقه ليلتحق بها، قالت فيها:

«ابتدأت أعمل له معاملة أنه لبناني الأصل: وهذه تأخذ مدة لا أعرف طولها لأنه كفلسطيني ممنوع بتاتاً أن يدخل لبنان ويوجد من يساعديني في المداخلات وغيرها: ثمّ إني سأعمل معاملة لنفسني حتى أستطيع السفر إلى فلسطين: وإني

لست متغاضية عن هذه المسألة إنما التأخير ليس مني: فحالما تتسرع الأوراق سأتي بنفسني وأخذه إلى لبنان كلبناني مهاجر راجع إلى وطنه».

وبعد ذلك بستة أشهر كتبت ليديا في رسالة أرخت في ١٩٥٠/٢/١ تقول:

«بعدما أكملت كتابة هذا التحرير، جاء مختار الحيام وقدم لي ورقة من الوزارة من بيروت يطلبون فيها إثباتاً أن منصور نفسه طالب أن ينضم إلى الجنسية اللبنانية، ولماذا، وفي حال الإيجاب ينظر في الأمر. وفي حال السلب يتعذر إجابة طلبنا: فترى أيها الصديق كم هي المسألة صعبة... وقد أخبرني المختار على لسان مأمور النفوس أن المسألة على الأرجح فاشلة. ومع ذلك سأذهب إلى بيروت وأكرر السعي والمداخلات والمصاريف الباهظة حتى إذا فشلت للمرة الأخيرة أكون قد حاولت: إني أكاد أن أهبط تحت الحمل والهمل. أنا لبنانية بواسطة الزواج وأخي فلسطيني».

الملفت للنظر في هذه الرسائل هو الكيفية التي راحت ليديا تعبر بها عن هويتها الوطنية، فراها تارة فلسطينية وأخرى لبنانية، والشيء نفسه ينطبق على رؤيتها لهوية أخيها فساعة هو فلسطيني وساعة أخرى لبناني ويبدو أنها عاشت صراعاً بين انتماءين كانا تارة جزأين من هوية أكبر وأعرق وتارة أخرى متناقضين منفصلين.

الدائرية الفنية

إن المتأمل ملياً في السياق الذي نشأت فيه «كريمة عبود» سيجد أن أهلها ساعدوها على تطوير حس فني مرهف، كما أن أبويها كانا من المثقفين في عصرهما مقارنة بآترابهما، وقد شُبت «كريمة» في بيت ذي حس لغوي مرهف، فأبوها أجاد فن الخطابة والوعظ، كما كان له اهتمامات ثقافية بدليل كتابته وإصداره كتاباً عن الأمثال العربية الدارجة، وكان له من الاهتمامات السياسية

والوطنية ما جعل مكان عمله مركزاً لندوات ثقافية في زمن لم تكن تعقد مثل هذه الندوات من قبل كما وأجاد القس سعيد الموسيقى إذ كان قائداً لجوقة أسسها في مدينة بيت لحم وأصبحت حينها ذائعة الصيت، ومما يجدر ذكره أن «ليديا عبود» أخت «كريمة» قد أجادت العزف على الجيتار، مما انعكس إيجاباً في نفس كريمة وكانت البيئة مهينة تماماً كي تمتلك كريمة ذوقاً رفيعاً، وحساً فنياً ونظرة إبداعية.

ولكن ماذا عن فن التصوير؟ لا شك أن البيئة الآنف الذكر ساعدت كريمة على الاتصال بعدد لا بأس به من المصورين. فالإرساليات الأجنبية عامة والإنجيلية خاصة كانت من أوائل المؤسسات التي راحت تستقطب المصورين لتصوير الأرض المقدسة والأماكن التي ارتبطت بالكتاب المقدس وسيرة الخلاص من جهة، ومن جهة أخرى أخذت تستخدم مصوراتها لتتقل بالصورة الحية شيئاً ملموساً عن عملهم التبشيري بقصد جمع التبرعات دعماً للعمل. وراحت مدينة بيت لحم بكونها مهد المسيح، والتي ارتبطت بالذاكرة المسيحية تستقطب أيضاً جموع المصورين، فما من مصور زار فلسطين إلا وزار أيضاً بيت لحم، هذا بالإضافة إلى قرب بيت لحم من مدينة القدس والتي شكلت مركزاً مهماً للمصورين الأجانب والأرمن والعرب في فلسطين.

لقد قيل الكثير، وكتب الكثير عن التصوير وفنونه في مراكز التصوير في كل من القدس ويافا ٣٢ ب ولكن ما لم يقال ولم يعرفه أحد أن كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية وهي الكنيسة الأصغر نسبياً كانت أيضاً مركزاً مهماً في تطوير التصوير في جنوب فلسطين. فهنا في بيت لحم وفي كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية والتي كان القس سعيد عبود راعيها، كان هناك مجموعة من المصورين بعضهم عمل في القدس والبعض الآخر في بيت لحم ويافا، وللأسف لم يذكر أي منهم في الدراسات الكثيرة السابقة التي كتبت، عن تاريخ التصوير في فلسطين، إذ لم تحظ مدينة بيت لحم بدراسه حقيقية عن المصورين الذين خرجوا منها أو

عملوا فيها، وانصب كل التركيز على مدينة القدس ومصوريها. لا نعرف على يد مَنْ مِنَ المصورين تتلمذت كريمة عبود، غير أنها كانت تعرف عن نفسها أنها «تعلمت هذا الفن الجميل عند أشهر المصورين»، ولكن من المؤكد أنّ ما أنّ فتحت كريمة عبود عينيها على هذا العالم حتى رأت نفسها محاطة بمجموعة من المصورين الذين كان والدها يتعامل معهم، وكانت على اطلاع دائم بفنهم، ولا بدّ أنها زارت هؤلاء المصورين كثيراً في بيوتهم برفقة أبيها، ورأتهم في المناسبات يلتقطون الصور وراء هذه الآلة العجيبة التي أثارت إعجابها، واستوطنت قلبها، وزادت من ولعها وشغفها بها.

من يمعن النظر في محيط كريمة عبود سيكتشف خمسة من المصورين الذين اتموا النفس الكنيسة وكانت كريمة وأبوها على اتصال وثيق بهم، وهنا يجدر بنا أن نستعرضهم فرداً فرداً، خاصة وأن البعض منهم لم يذكر ولا يعرف عنه الكثير وربما هذه هي المرة الأولى التي تسلط الأضواء عليهم:

المصور الأول والأقدم في محيط كريمة عبود كان يوسف (جريس) ضاهر الياس البوارشي. ولد يوسف في بيت لحم في ١٨٧٦/١٠/٢ وكان أبوه ضاهر صانع أحذية وكان قد تعلم الصنعة في دار الأيتام السورية ولكنه كان أيضاً مدير مكتبة للكتاب المقدس في بيت لحم في حي المدبسة، أما أمه فكانت ساره قسطنطين الريادي. وفي عام ١٨٨٤ وبعد أن استلم القس لودفيك شنلر ابن مؤسس دار الأيتام السورية، رعاية كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم، تم تأسيس عمل إنجيلي في الخليل، وقرر لودفيك شنلر أن يرسل ضاهر بوارشي إلى هناك ليؤسس نواة مدرسة إنجيلية جديدة، هذا بالإضافة إلى مستوصف طبي تم استقطاب طبيب لبناني لإدارته. في هذه المدرسة الإنجيلية في الخليل تعلم يوسف (جريس)، قبل أن يكمل دراسته في بيت لحم ومن ثم في القدس. وتظهر الوثائق الكنسية أن يوسف (جريس) البوارشي تزوج في ١٩٠٢/٢/٢٧ كان يعمل آنذاك مصوراً في القدس، وقد تمّ زواجه على يدي القس سعيد عبود أبو كريمة.

أما المصورون الأربعة الباقين فكانوا من نفس العائلة، وكان أبوهم من أوائل الإنجيليين في مدينة بيت لحم، واحتل مركز مختار الطائفة لسنين كثيرة، مما يثبت وجود علاقة قوية بين القس سعيد بصفته راعي الكنيسة وبين مختارها خليل باسيل وعائلته. لقد كانت عائلة باسيل وبلا شك أول وأشهر عائلة تدخل التصوير إلى مدينة بيت لحم وتعمل فيه على مدى ثلاثة أجيال، كما أن تراث هذه العائلة وللأسف غير معروف، ولم تحتفظ الأجيال المتعاقبة من هذه العائلة بأية صورة أو أوراق تساعدنا على تأريخ هذه الفترة والمهنة التي مارسوها، وكل ما لدينا هو ما استطعنا أن نجمله من السجلات الكنسية فقط:

أ) أول المصورين في عائلة باسيل كان بلا شك توفيق خليل باسيل، وهو الابن الأكبر لمختار الطائفة الإنجيلية. ولد توفيق في بيت لحم بتاريخ ١٨٨٨/١١/١٥ وكانت والدته كاتبه ميخائيل وقد تعمد على أيدي القس لودفيك شنلر في كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية في ١٨٨٨/١٢/٢٢ وتفيد السجلات الكنسية أن توفيق كان مصوراً في بيت لحم عند زواجه من الآنسة أولغا حنا ياني في ١٩١٠/١/١ وقد قام بمراسيم الزواج القس سعيد عبود، كما وتظهر السجلات الكنسية أنه بقي مصوراً حتى طوال حياته، لا بل ورث مهنته لابنه خليل، وتوفي توفيق باسيل في ١٩٦١/٢/٧

ب) خليل توفيق باسيل: ولد في بيت لحم في ١٩١٠/١٠/١٢ وتعمد على يدي القس سعيد عبود بل وتثبت في نفس الفوج مع ليديا عبود أخت المصورة كريمة، وتعلم مهنة التصوير من والده توفيق. وتؤكد السجلات الكنسية أن مهنته عند زواجه على يد القس سعيد عبود من ماريا المصو في ١٩٣٧/٦/٢٤ كانت في التصوير ولكنه يبدو أنه وفي مطلع الأربعينات انتقل للعمل في التصوير إلى مدينة يافا، حيث بقي هناك حتى النكبة، رجع بعدها إلى بيت لحم وبقي في عمله مصوراً حتى وفاته.

(ج) يوسف (خليل) إلياس باسيل وهو حفيد خليل باسيل ولكن لابنه إلياس. ولد يوسف في بيت لحم في ١٨٩٦/٣/١ وكانت مهنة والده الياس البناء، حيث عمل مع أشهر المهندسين الألمان في بناء الكنائس اللوثرية ومؤسساتها، أما والدته فكانت عفيفة إبراهيم كتاب. تزوج يوسف (خليل) من جميلة نسطاس من بيت لحم في ١٩٢٧/٥/١ وقد أجرى مراسم الزواج القس سعيد عبود، وبحسب سجلات الكنيسة كان يوسف عند زواجه مصوراً ومما يثبت عمق أواصر الصلة بين عائلة باسيل وعبود أن كاترين عبود ابنة القس سعيد عبود الكبرى وقفت إشبينة لأبنة يوسف باسيل والمدعوة كارولين يوم معموديتها في عام ١٩٤٤، أما يوسف فسكن في شعفاط إلى أن توفي في ١٩٧٠/٥/١

(د) ميشيل توفيق باسيل: ولد في بيت لحم في ١٩٢١/٣/١٥ وتعهد على يدي القس سعيد عبود في ١٩٢١/٦/١٩، وقد أخذ الصنعة عن أبيه وجده منذ صغره إذ تظهر السجلات الكنسية مهنته مصوراً عند زواجه في ١٩٣٧/٦/١ وبقي كذلك حتى الستينيات من القرن العشرين حيث ترك هذه المهنة ليعمل في صناعة الشمع العسلي وبقي كذلك حتى مماته في عام ٢٠٠٣. لا بد وأن كريمة عبود قد تأثرت ببعض هؤلاء المصورين وقد تكون قد تعلمت مهنة التصوير عند أحدهم. ويبدو أنها كانت على صلة مع المصور C. Sawides في حيفا، بدليل أنها إختارت أن تلتقط صورتها المهنية مع الكاميرا الخاصة بها في الأستوديو الخاص به في حيفا.

إذن لم تكن كريمة عبود ظاهرة فريدة في بيت لحم لكونها مصورة، بل كانت كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية تزخر بالمصورين من عائلة بوارشي وباسيل لتتضم كريمة عبود إليهم. ولكن الحق يقال أن كريمة كانت ظاهرة فريدة كونها أول امرأة في فلسطين تحترف التصوير.

وتشير الدلائل أن كريمة عبود كانت تعمل مصوره في الناصرة (أنظر الختم) وفي حيفا (دار ضومط) والقدس وبيت لحم حيث يبدو أنها أدارت استوديو في دار الجعار حيث كان يسكن والدها كما كانت تصور في مدن أخرى بدليل تصويرها لحفل التثبيت في الخليل سنة ١٩٣٦. وبهذا العمل فتحت كريمة لنا نافذة مهمة جداً نطل من خلالها على الحياة النسوية في فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين.

(٢) كريمة عبود ومجموعاتها التصويرية

عملت كريمة عبود كمصورة ما يقارب الربع قرن (١٩١٥-١٩٤٠)، وعملت في أكثر من مدينة منها: بيت لحم، القدس، حيفا والناصرة. وتركت الكثير من الصور، بعضها معروف والبعض الآخر ما زال مخفياً. ويبدو أن هناك ستة مجموعات مختلفة لصور كريمة عبود يمكن إيجازها فيما يلي:

(١) عملت كريمة عبود خاصة كمصورة عائلية، ورصدت كاميراتها الكثير من النساء والأطفال والعائلات الفلسطينية، ولا شك أن مجموعة كبيرة من صورها كانت ومازالت في عهدة هذه العائلات، مما يصعب عمليه جمعها. هذه هي المجموعة الأولى المتناثرة والتي نأمل ألا تندثر. وأملني أن يساعد هذا الكتاب الكثير من العائلات على مراجعة صورها القديمة للتعرف على هوية المصورة/ الذي التقط هذه الصور.

(٢) المجموعة الثانية من صور كريمة كانت في عهدة عائلتها. إذ تشير بعض الرسائل التي إستطعنا الحصول عليها إلى أن أباه سعيد وأختها ليديا لم يأخذا هذه الصور معهما بل تركاها في بيتهم الكائن في بيت لحم، وبعد ذلك طلبا من القس الياس شحادة أن يرسلها إلى لبنان. ففي رسالة ليديا عبود مؤرخة في ١٩٤٩/٤/٣ كتبت ليديا إلى القس الياس شحادة رسالة تقول فيها:

«من جهة الأغراض التي تخصنا فإني أكلفك أن تعمل بها ما تشاء: فقط أرجوك أن تحافظ لي على الصور الفوتوغرافية: ... الصور شغل المرحومة كريمة... فإذا كانت موجودة أرجو أن تبقيها إلى ابنتها سمير... فإذا كانت لا تزال موجودة أرجو أن ترسلها لي بالبريد... مع الصور الفوتوغرافية وإني مستعدة بدفع تكاليفها».

للأسف لا نعرف مصير هذه الصور؟ هل استطاع القس الياس شحادة أن يجدها؟ وهل أرسلها إليها إلى لبنان؟ وهل استلمتها؟ وهل بقيت في عهدها في الخيام، أم أن ابنتها سمير أخذها معه إلى البرازيل؟ أسئلة كثيرة لا نجد للأسف جواباً شافياً لها، ولكننا نأمل أن يكتشف أحدهم يوماً هذه الصور العائلية لكريمة عبود.

(٣) أما المجموعة الثالثة فنعرف أنها في عهدة رجل إسرائيلي يدعى بوكي بوغاز وهو تاجر أنتيكا. وبحسب رواية أحمد مروان فإن هذه المجموعة الثالثة مكونة من ثلاثة مجلدات وتحوي زهاء ٤٠٠ صورة هي صور لمواقع أثرية وتاريخية في فلسطين إبان الانتداب البريطاني، وبحسب نفس المصدر فما زالت هذه المجموعة في يدي هذا التاجر الذي يأبى أن يكشف عنها أو يبيعها.

(٤) أما المجموعة الرابعة فهي تلك التي ننشر جزءاً منها في هذا الكتاب والتي كانت حتى سنة ٢٠٠٦ في يدي نفس التاجر «بوكي بوغاز» وتتكون بحسب رواية «أحمد مروان» من مجلدين والتيبادلها مع السيد أحمد مروان مقابل توراة قديمة، ويبدو أن بوكي بوغاز رضي أن يستبدل هذه الصور بالتوراة - لقناعته أنها في مجملها صور شخصية كما لم يكن يعرف بالدقة لمن تكون هذه الصور، وبالتالي فقيمتها ليست كقيمة الصور التي ترتبط بالأماكن الأثرية والتاريخية.

(٥) المجموعة الخامسة هي مجموعة متيل وشفيفة عبود وتتكون من حوالي ٣٠٠ صورة كانت بعهدة السيد دعبس عبود في الناصرة وهي اليوم في أرشيف الناصرة والتي ننشر جزءاً مهماً منها في هذا الكتاب.

(٦) أما المجموعة السادسة والأخيرة فكانت عبارة عن صور أخذت بعدسة كريمة عبود واستطعنارصدها والحصول عليها إما من أرشيفات كنسية أو من مجموعات شخصية كمجموعة القس الياس شحادة والموجودة حالياً عند حفيدته د. نهى خوري، عميدة كلية دار الكلمة في بيت لحم.

ويسرنا في هذا الكتاب أن نوثق وننشر وللمرة الأولى هذه المجموعة التصويرية المميزة لنضعها بين يدي القارئ ليتعرف من خلالها على أول مصورة نسوية فلسطينية.

مميزات المجموعة التصويرية المنشورة

تتميز هذه المجموعة التي ننشرها اليوم بما يلي:

(١) المهم في هذه المجموعة أنها توثق صوراً لعائلة عبود عبر سنين طويلة مما يجعلها توثق تاريخ عائلة فلسطينية زمن الانتداب لا نجد له مثيلاً في عائلات فلسطينية أخرى.

(٢) ومن الأهمية بمكان أن كريمة عبود لكونها امرأة، فقد التقطت عدستها الكم الهائل من الصور خاصة للنساء والأطفال والتي بواسطتها نستطيع التعرف على جوانب كثيرة من الحياة الاجتماعية في فلسطين في فترة الانتداب. ومن يمعن النظر في هذه المجموعة من الصور لا بد وأن يصيبه الدهول من رؤية التنوع الحضاري والثقافي غير المحدود والمتمثل في أنواع الألبسة النسائية المختلفة، أو تصفيف الشعر، أو طريقة لباس الأطفال والشبان. والمهم في هذه المجموعة أن الكم الأكبر من هذه الصور لم يلتقط لبيعه

للسيَّاح وبالتالي لم يأتي ليؤكد على النمط الاستشراقي للأرض المقدسة، بل يشكل الكم الأكبر منها صوراً عائلية ترصد الحياة الاجتماعية لعائلات فلسطينية متوسطة الحال في فترة الانتداب. ومن يتأمل في هذه الصور لا بد وأن يستشعر مدى التطور الذي ساد هذه الحقبة من تاريخ شعبنا قبل أن ترجعنا النكبة عشرات السنين إلى الوراء.

(٣) تتميز هذه المجموعة ببعض الصور الملونة التي اعتبرت آخر صرعة في عصرها، حيث لم يكن التصوير الملون قد انتشر بعد، إذ أخذ بعض المصورين يرسمون على الصور القديمة بالألوان الزيتية. ونرى هنا عدة محاولات لكريمة لتلوين بعض الصور، ويبدو أنها كانت تجري الاختبارات على اللون عليها تجد اللون الأفضل الذي يحاكي الواقع أو يضيف إليه لمسات جديدة.

وبالتالي تشكل هذه المجموعة من الصور كنزاً لا يستهان به، ومرآة لحقبة تاريخية مهمة في تاريخ فلسطين الحديث، كما وتشكل نافذة على الحياة العائلية لطبقة اجتماعية متوسطة إبان العهد البريطاني. إن حقيقة وجود امرأة مصورة فلسطينية منذ بداية عهد الانتداب البريطاني، وقبل وجود مصورات يهوديات إنما يشكل بحد ذاته قفزة نوعية تحتل فيه المرأة العربية مساحة جديدة لتحقيق ذاتها وللوصول إلى مساواة تامة مع الرجل.

تركة كريمة عبود الصورية

لم يكن من السهل التحقق من صحة الصور التي نسبت إلى كريمة، فلقد اختلطت بمئات الصور التي نسبت إليها بحق أو بغير حق، ولكن بعد التقصي والبحث والتمحيص والتدقيق تبين لي أن الكثير من الصور التي نسبت لكريمة، لا يمكن أن تكون لها بأي حال من الأحوال كونها أخذت إما بعد وفاتها، أو أنها كانت ضمن مجموعة صورية لم تكن تمت لكريمة عبود بصلة من قريب أو

بعيد. لهذا كان لزاماً علي أن أدقق وأن أفرز الصور وأضعها بحسب أصالتها. لذلك فقد قمت بالتدقيق في مجموعة الصور التي وردتني وقسمتها إلى الأقسام التالية:

- (١) صور بعدسة كريمة عبود بدليل وجود ختم المصورة على خلف الصورة وقد بلغ عدد هذه الصور ١٤.
 - (٢) صور لا تحمل ختم كريمة وهي في الغالب لأفراد من أسرة كريمة ولكن يمكن القول أنها - ومن شبه المؤكد - من أعمال كريمة ويبلغ عدد هذه الصور ٦٥.
 - (٣) صور من المرجح أن تكون قد التقطت بعدسة كريمة وذلك بناء على مجموعة من المعايير ويبلغ عددها ١٧.
 - (٤) صور من المحتمل أن تكون لكريمة ولكن لا يوجد دلائل أو قرائن تدل على ذلك.
 - (٥) صور لا يمكن أن تكون لكريمة وذلك بسبب وجود أختام أخرى عليها.
 - (٦) صور تظهر فيها كريمة عبود ولكنها أخذت لمصورين آخرين قد نعرفهم أو لا نعرف عنهم شيئاً.
- وأخيراً وليس آخراً فهناك أمور عديدة تميزت بها كريمة عبود عن غيرها من المصورين في فلسطين:

- كانت كريمة وبحق أول امرأة تقتحم سلك التصوير، في عالم كان التصوير فيه ما زال حكراً على الرجال، ولهذا يحق تسميتها برائدة التصوير النسوي في فلسطين. ومن الجدير ذكره أن كريمة لم تكن المصورة الأولى في الوسط العربي فحسب بل وفي الوسط اليهودي أيضاً، إذ هي سبقت المصورات اليهوديات.
- كانت كريمة مميزة بكونها مصورة بيتية، إذ اكتشفت كريمة أن هناك سوقاً للتصوير في البيوت يتلاءم مع الطبيعة المحافظة للعائلة الفلسطينية وصعوبة

وصول النساء والأطفال إلى استوديوهات التصوير، فخطر ببالها فكرة التوجه إلى البيوت لالتقاط صور النساء والأطفال والعائلات باعتبارها خطوة رائدة لم يسبق إليها أحد من قبل، وبذلك فتحت الطريق أمام توثيق صور شريحة مهمة في المجتمع الفلسطيني.

مما يلفت النظر حقاً في حياة كريمة عبود هي حرية الحركة التي كانت تتمتع بها. وقد لعبت فترة الاستقرار والأمن النسبيين في النصف الأول من فترة الانتداب البريطاني - بالإضافة إلى مشاريع البنية التحتية التي شملتها، من شوارع ونظم مواصلات والبدء في استخدام السيارات - دوراً في حرية الحركة التي كانت تتمتع بها، إلى جانب إلى عدم وجود حدود مغلقة بين بلدان الشرق الأوسط، وهذا ما تظهره بوضوح صورها في القدس أو التي التقطت على نهر الأردن وفي بعلبك وبانياس.

وبالرغم من ذلك فإن المرء يقف مندهشاً أمام الحرية التي استطاعت امرأة فلسطينية في النصف الأول من القرن العشرين أن تحققها لنفسها، فقد عاشت منفصلة جغرافياً عن زوجها الذي بقي في مرجعيون بينما عاشت هي وابنها سمير جل وقتهما في بيت لحم.

إن المتتبع لحياة كريمة عبود لا بد وأن يصل إلى نتيجة مفادها أن كريمة عبود إنما كانت ناشطة نسوية فلسطينية في حركة كانت قد أخذت بالتبلور في فلسطين بدليل قيام جريدة الكرمل في شهر حزيران عام ١٩٢٤ بنشر إعلان يدعو إلى دعم هذه المصورة الوطنية. وكانت جريدة الكرمل ممثلة بالسيدة ساذج نصار زوجة الصحفي وصاحب الجريدة نجيب نصار قد راحت في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين بتخصيص مقالات ومساحات ومن ثم صفحات خاصة في جريدتها لدعم الحركة الوطنية النسوية، ومن المثير حقاً أن نجد كريمة عبود تحظى بأحد أوائل هذه الإعلانات.

• ولكن ربما كان أهم ما يميز كريمة أنها كانت امرأة أعمال أدركت قبل الرجال أهمية توسيع رقعة أعمالها لتغطي أكثر من مدينة فلسطينية، فأدارت لها في مطلع العشرينيات من القرن التاسع عشر أستوديوهات في كل من الناصرة وحيفا، وبيت لحم وكانت دائمة التنقل بينها. ويبدو أنها استفادت من شبكة علاقاتها الاجتماعية لإقامة ستوديوهات خاصة بها، ففي الناصرة لا بد وأنها استخدمت دار بنات عموميتها متيل وشفيقة كاستوديو للتصوير خاص بها، كما وأسست أستوديو آخر في حيفا في دار ضومط، وعلى الأغلب يدور الحديث هنا عن دار كل من جورج وعزيز ضومط اللذان كانا قد درسا في دار الأيتام السورية، وكانت دارهما مكان المدرسة الإنجيلية في حيفا اليوم.

وأخيراً وكما يبدو من الصور كان لكريمة عبود أستوديو أو مقر ثالث في بيت والدها القس سعيد عبود في بيت لحم. وبذلك تكون كريمة عبود قد سبقت المصورين الرجال في فلسطين لأنها لم تكن مصورة محلية فحسب، بل مصورة وطنية شملت أعمالها سائر أرجاء الوطن: وسطه وشماله وجنوبه.

نهاية مصورة

لم يكن الوضع الصحي في عائلة عبود بالهين. فلقد توفي أخوها نجيب وكان ما زال رضيعاً، كما توفي الأخ الثاني (كريم) وهو في ريعان شبابه عام ١٩٢١، أما أخوها الثالث منصور فلقد عانى طوال حياته من كآبة وحالة نفسية صعبة مما أوجب أن يقضي جل عمره في مصحة للأمراض النفسية. كما وأصيبت أختها ليديا بداء السل، وربما كان هذا المرض قد أصاب أعضاء آخرين من عائلة كريمة. هذا ولم تكن حالة كريمة عبود الصحية بالمستقرة، ففي سنّي عمرها الأخيرة راحت كريمة تتعرض لنوبات من الحمى، فكتب أبوها القس سعيد في ٢/شباط/١٩٤٠ إلى متيل عبود رسالة جاء فيها: «بقيت الحمى ملازمة

كريمة جملة أيام وقد صار هذا اعتيادي عندنا: فإذا استراحت بضعة أيام فلكي تعود الحمى فتهاجمها وتحف جزءاً آخر ولو قليلاً من عافيتها.

وبعد هذه الرسالة بثلاثة شهور توفيت كريمة عبود في ١٩٤٠/٤/٢٧ في مدينة بيت لحم عن عمر ناهز السبعة والأربعين عاماً نتيجة فشل كلوي (Uremia hydrophone double) ودفنت في اليوم التالي في مقبرة الكنيسة الإنجيلية اللوثرية طاوية معها قصة رائدة عربية ومصورة عريقة ومخلقة وراءها إرثاً حضارياً مميزاً.

ملحق رقم ٣

من دار الندوة الدولية إلى مجموعة ديار

رنا خوري

إن الحديث عن دار الندوة الدولية لا يمكن أن يكون بمعزل عن السياق الزمني والمكاني. فعند التمعن في مسيرة ونمو دار الندوة إلى ما أصبحت عليه الآن من ديار، نراها مرتبطة كل الارتباط بالسياق الفلسطيني، متأثرة بهذا المحيط ومؤثرة به أيضاً ساعية لربط الحاضر بالمستقبل، أو بالأحرى ساعية لربط المستقبل بما يمكن عمله بالحاضر. لهذا فليست مصادفة أن تكون ما تكون عليه دار الندوة الدولية حالياً، وعمق ارتباطها بهذا السياق له علاقة بان مؤسسها ومديرها هو رمز من رموز اللاهوت الفلسطيني. وليس بالمصادفة أيضاً أن من أشهر معالمها (إذا أخذنا بناياتها على حدى) لوحة العشاء الأخير، لسليمان منصور، أو لوحات السيد عادل ناصر بحيث أن المضمون هو آيات من الكتاب المقدس في قالب كليجرافي يدل على الارتباط بالثقافة العربية، أو لوحة أحمد أبو هنية «المسيح في السياق الفلسطيني» وهلم جرا.

فتاريخ «دار الندوة» ومسيرتها إلى «ديار» أجدها مرتبطة بأربعة مراحل

وهي:

(١) المرحلة الأولى: ١٩٨٩-١٩٩٤ (التحضير)

ان قصة دار الندوة بدأت في قبو كنيسة الميلاذ، المبنى السفلي الذي هُجر لسنوات عديدة وتراكت أكوام من التراب بداخله وذلك أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات من القرن الماضي.

ارتبطت هذه الفترة بالانتفاضة الفلسطينية الأولى، وتأهيل المكان وإعادة ترميمه «وانتفاضته» كانت الخطوة الأولى في فكر مبدع ومسيرة مميزة وفريدة من نوعها تسعى لتأهيل، وإعادة بناء المجتمع الفلسطيني بشكل كامل وشمولي. في ذلك الوقت (في أوج الانتفاضة الأولى) كانت فكرة ترميم المباني القديمة جديدة، سبقت العديد من المبادرات والمراكز التي تعنى الآن بالحفاظ على المباني القديمة. ولكن عملية التأهيل وأهميتها لم تكن لإعادة احياء مبنى مهجور لتحويله إلى متحف مثلاً، فالأهم هو الفكر الذي دعم وصاحب إعادة التأهيل وهو الشيء الجديد في فلسطين. فلا بد من التشديد على أن هدف المكان المرمم هو توظيف وفتح جميع مرافقه لاستخدام المجتمع المحلي بجميع أطيافه بشكل فعال ويومي، مما جعل من هذا المكان بارقة أمل لمستقبل فلسطيني مشرق.

والمكان ليس الحجر بل الرؤية التي تحث على الفعل والنشاط. ف رؤية دار الندوة ألا وهي تفعيل دور الشباب، كانت بداية البداية. فمنذ البداية كانت عملية الترميم بمشاركة العديد من المجموعات الشبابية الفلسطينية والأجنبية. فكان من المهم بعث روح التطوع والمشاركة الشعبية الواسعة لانتاج مركز جديد كدار الندوة، والتأكيد على أن هذه الدار هي نتاج عمل جماعي.

٢) المرحلة الثانية: ١٩٩٥-١٩٩٩ (التأسيس)

في ٢٨ أيلول ١٩٩٥ افتتحت دار الندوة الدولية رسمياً، رسالتها كانت واضحة منذ البداية وهي «تعزيز وتمكين الفرد والمجتمع المحلي بشكل عام، لأخذ دور فعال في بناء مستقبله ومجتمعه». وبالرغم من أن التركيز بالدرجة الأولى كان وما زال على قطاع الشباب والنساء، (فليس من الصدفة مثلاً أن ٦٠٪ من الموظفين هم نساء «شابة»)، يحتلون أعلى المراكز في الهرم الوظيفي)، إلا أن شعار المؤسسة كان ولا يزال «من المهدي إلى اللحد»، أي أن دار الندوة الدولية للجميع بغض النظر عن الجنس والنوع والعمر والانتماء والدين.

تعود تسمية دار الندوة إلى الزمن القرشي وتعني: «المكان الذي يجتمع به القوم للتباحث في أمور الهامة للامة» ولكن مع اضافة كلمة «الدولية»، اتسعت الرؤيا لتشمل الدار الحركة المسكونية برمتها.

هذه الفترة شهدت تغييراً جذرياً في السياق والتاريخ الفلسطيني، حيث أن السلطة الفلسطينية كانت قد استلمت بعض المدن، ومنها بيت لحم، ودار الندوة كانت من المؤسسات القيادية المساهمة والمشاركة في عملية بناء مجتمع مدني فلسطيني سليم وقوي من خلال طرحها للبرامج التوعوية ورش العمل الخ (التركيز بالأخص على شريحة النساء)، اضافة إلى برامج اعادة انخراط (مثل نادي الخريجين) والذي لاقى نجاحاً باهراً تلك الفترة الزمنية، والذي سعى لاعادة دمج الخريجين الفلسطينيين الجدد من دول مختلفة بهدف وقف هجرة العقول أيضاً.

وتميزت هذه الفترة أيضاً ببرنامج السياحة الاصيلية، الذي طرح في فلسطين من قبل دار الندوة كأول برنامج للسياحة البديلة عام ١٩٩٢، ومن خلالها توجت فلسطين ولأول مرة بجائزة عالمية (TODO! ١٩٩٦) للسياحة المسؤولة اجتماعياً.

في نهايات هذه الحقبة الزمنية، بدأت رحلة التوسع لدار الندوة من ناحية البنية التحتية والموارد البشرية والموازنة التشغيلية وعدد المستهدفين والعلاقات والشبكات المحلية والعالمية. وأهم البصمات التي وقعتها هذه الفترة، الورش الفنية و«مركز الكهف للفنون الحرف»، وتقديمه العديد من البرامج التدريبية في مجال الحرف اليدوية.

وما يميز هذه الفترة الزمنية أكثر هو استعادة قرابة ٢٦ دونماً من أملاك الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم، لتصير مقراً لكلية دار الكلمة، وهو في موقع جغرافي اخر (جبل مرير)، مما سمح لمؤسسة دار الندوة الدولية بالتوسع وبناء العديد من المنشآت الأخرى.

٣) المرحلة الثالثة:

٢٠٠٥-٢٠٠٥ «رغم الدمار... خيارنا الاستمرار/الابتكار...»

رغم الصعاب خلال فترة الانتفاضة الثانية، والمتمثلة في الدمار الذي ألحقه الجيش الإسرائيلي بمدينة بيت لحم (بما في ذلك مبنى دار الندوة الدولية) وغيرها من المدن. إلا أن دار الندوة استطاعت تحقيق العديد من الانجازات والنقلات النوعية تعميماً لقيم وروح ورسالة هذه المؤسسة. وتحديدًا في هذه المرحلة بدأت دار الندوة الدولية بالانتشار والتغلغل في المجتمع الفلسطيني بنشاطاتها المختلفة والمتنوعة، لتأخذ الشكل الذي هي عليه الآن.

شعار «رغم الدمار... خيارنا الاستمرار/الابتكار...» كتب على عدد من الياфطات والرايات والمطبوعات المتنوعة، وأهمها على باب دار الندوة الدولية ومركز الكهف المدمر، لتعكس سياسة حياة منافية لواقع مؤلم مغموس باليأس، فجاءت هذه الرسالة وما حملته من بصيص أمل وبناء، لتفرض واقع جديد يتحدى ويقاوم من أجل الاستمرارية والابتكار في ظل الدمار.

وتأييداً لمسيرة «الاستمرارية والابتكار» كانت بداية انطلاقة أهم التوسعات لدار الندوة وتكوين «ديارها» المتعددة - التي باعتقادي لا مثيل لها في أي مؤسسة وطنية أخرى بهذه السرعة.

٢٠٠٠ افتتاح مدرسة دار الكلمة على جبل مرير

٢٠٠٠ تأهيل مبنى المدرسة اللوثرية القديمة وانتقال الإدارة إليها

٢٠٠٣ افتتاح مسرح ومركز مؤتمرات الدار

٢٠٠٣ افتتاح مركز دار الكلمة للصحة المجتمعية

(عيادات خارجية ومركز لياقة)

٢٠٠٣ افتتاح مركز بيت لحم للإعلام

٢٠٠٤ إعادة ترميم وافتتاح نزل أبو جبران

الهدف من هذه الاستثمارات والمشاريع والدور المتعددة، ليس الهوس بمشاريع البناء مثلاً، فالفكرة كانت واضحة منذ البداية هادفة للنهوض بالإنسان والمجتمع الفلسطيني وتعزيز دوره بشكل ايجابي ومستديم، والتعامل معه بشكل شمولي، ومن مختلف الجوانب والنواحي. فلهذه طورت دار الندوة ادوات ووسائل لخدمة العقل/الفكر (التعليم الرسمي وغير الرسمي - المدرسة والكلية/التعليم المستمر)، والجسد البشري (الصحة الجسدية والذهنية/الصحة المجتمعية)، والأهم هو الروح/الجوانب الروحانية (الثقافة - الكهف والدار ودار الندوة ونشاطاتها المجتمعية المتنوعة). هنا كان من المهم اتباع هذا النهج، أي «خلق حقائق إيجابية على الأرض»، بحسب قول القس الدكتور ميري الراهب.

في هذه المرحلة من عمر دار الندوة الدولية، جاء الاهتمام والتركيز بشكل جذري على الثقافة والموسيقى والفنون بمختلف أنواعها (البصري - المرئي/الادائي)، لأن الثقافة مرتبطة بالهوية فهي الوسيلة للتعبير عن الذات وتعطي ملامح شعب. فهي مقاومة مبدعة.

الرؤيا الثقافية المتبلورة في كيان دار الندوة الدولية، جاءت لربط الإنسان الفلسطيني بمثيله في باقي أنحاء العالم ولتوصيل الرواية الفلسطينية، خاصة في زمن العزلة الذي تحاول إسرائيل فرضه علينا. «الثقافة هي فن التنفس»، هنا أقتبس من القس الدكتور ميري الراهب، من إحدى أهم مقالاته باللغة الإنجليزية، بعنوان «الثقافة كفن للتنفس».

فأصبحت دار الندوة عنوان مهم للثقافة في فلسطين، خصوصاً ببناء مسرح ومركز مؤتمرات الدار، ومركز الكهف للفنون والحرف ومركز بيت لحم للإعلام وغيرها، فمرافق الدار وتجهيزها أتاحت لمثل هذه المكانة الثقافية.

أردت أن أبرز هنا مثاليين قويين لإعطاء فكرة واضحة ومعبرة على هذه الفترة:

(١) الملك/الزجاج: من تجربة الدمار والاحتياح الاسرائيلي لبيت لحم عام ٢٠٠٢، تم جمع شظايا الزجاج المكسر لعمل «ملاك» بواسطة Stained Glass Technique، وهو من اهم علامات الامل والعدل والسلام. والنساء الذين عملن به أصبحن الان نساء أعمال ناجحين، فاقصاديا استطاعوا الملمة شظايا وفتات حياتهم ووضعها في قالب جديد. أيضا هذا العمل له قيمة بيئية وجمالية من ناحية إعادة تصنيع زجاج والمخصص الآن لأغراض فنية.

(٢) الجداريات: دار الندوة الدولية ربما كانت أول مؤسسة قامت بمواجهة الجدار بطريقة مبدعة فنية عام ٢٠٠٣، وذلك عن طريق رسم جداريات على الجدار العنصري. وكان هذا قبل الفنان (Bansky) الذي رسم جداريته على الجدار. حيث قمنا باستقبال ٣ فنانين من المكسيك وأتيحت لهم الفرصة للرسم في مدن مختلفة منها بيت لحم، قلقيلية، وابو ديس تحت مشروع (Defacing the Wall).

(٤) المرحلة الرابعة: ٢٠٠٦ - الآن (مرحلة المؤسسة الكاملة والنضج)

شهدت هذه الفترة في السياق الفلسطيني، مرحلة انتخابات المجلس التشريعي والانقسام الداخلي وتساعد الممارسات الاسرائيلية والجدار ومصادرة الاراضي. هذه الفترة اتسمت بالشعور باليأس، والإفتقاد للحلول الجذرية فالسلام بعيد الأمد. هذه المرحلة شهدت ركوداً اقتصادياً. والاهم هنا هو الشعور بغياب الرؤية لمستقبل أفضل متجدد الأفق، فالانسان مقيد.

في هذه الفترة الزمنية نضجت الأدوات والوسائل التي عملت دار الندوة الدولية على العمل بها وصلها عبر العشر أعوام الماضية، وهي التعليم، الثقافة والفنون الخ... لتكون كلية دار الكلمة الجامعية للفنون والثقافة.

هذه الرؤية هي فريدة من نوعها، نضجت بنضوج الوسائل والمؤسسات، لتقول الان وبصوت عال كله ثقة «لتكن لنا حياة ولتكن أفضل». (مأخوذة من انجيل يوحنا ١٠: ١٠ بحيث كتب: «وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل»).

وهذا الفكر والرؤية المبدعة ترى بأنه من الممكن في فلسطين التحول من مجرد مشاهد/ة للحدث إلى صانع/ة للحدث، من فكرة اننا «ضحية» إلى أناس «ذوي رؤية»، ومن مرحلة الانتظار إلى العمل على خلق واقع جديد، ومن «الانفعال» إلى «الفعل». الاستراتيجية المتبعة متعددة المستويات، تبدأ بالفرد أولاً، ومن ثم كالدومينو للمجتمع بكافته. فرسالة ديار هي «نحن نبنو وطناً... نعلي دياراً... حجراً حجراً... وبشراً بشراً... وداراً تلو الدار...».

والهدف كان وما زال التأثير بشكل جذري في المجتمع، واعى لهويته ومرتبطة بسياقه وجذوره، مرن قادر على التحليل والتفاعل مع العوامل المتغيرة حوله.

وهذا التأثير والرسالة والرؤية تبدأ واضحة في شتى القطاعات والمجالات على المستوى المحلي، الاقليمي والعالمي.

وهنا بعض الأمثلة

برنامج أجيال، فكرته أن كبار السن قادرين على المساهمة بنشاط والعطاء في بناء هذا المجتمع والتعلم المستمر. أي ان دورهم لا ينتهي عند وصولهم سن الشيخوخة، بل بالعكس. هذا البرنامج ساند المسن ومكنه وأعد له العديد من البرامج والنشاطات كانتاج الكتب والمسرحيات والرياضة والدورات التعليمية الخ...

البرامج الشبابية المتعددة، التي تسعى لبناء قيادات شبابية وتشجيع الشباب والشابات على المشاركة المدنية الفعالة في محيطهم ومجتمعهم كبرنامج «القيادات

الشابة» والتي انبثقت منها «مسرح ديار الراقص»، الأول من نوعه في مدينة بيت لحم، وهو مسرح راقص مبني على دمج التاريخ الشفوي الفلسطيني المتمثل بالدبكة الفلسطينية بالمسرح المعاصر. وكذلك «فريق ديار النسوي الرياضي» الذي يبرز قيادات نسوية من خلال رياضة كرة القدم والكرة الطائرة.

برامج المشاركة المدنية، الذي يدرب العديد من القادة الشباب من مختلف المناطق على طرق جديدة لتعليم المنهاج المدني والوطني، وتزويدهم بوسائل تعليمية جديدة مميزة بما في ذلك السمعية والبصرية، وذلك لتوعية الشباب وتحفيزهم على المشاركة والتأثير في محيطهم مباشرةً.

برامج تخص المجتمع المسيحي الفلسطيني، لاعطاءه من جديد دور قيادي في المجتمع الفلسطيني وتخفيف ظاهرة الهجرة، بالإضافة إلى إصدار دراسات حديثة عن «واقع المسيحيين في فلسطين»، وفي تحت هذا الإطار شاركت دار الندوة في إنتاج ودعم وثيقة «وقفه حق».

برامج التعليم المستمر، الذي وفر عدد من التدريبات في مجالات مختلفة، لآلاف من أفراد المجتمع المحلي.

تكونت سلسلة مؤتمرات «بين الثقافات» والتي تعنى بقضية ارتباط الهوية بالشعب والأرض وكيفية إعادة تشكيل مجتمعات تعيش في أوقات أزمة. وأيضاً إقامة مؤتمرات إقليمية ودولية في الكثير من دول العالم.

ومن هنا انطلق برنامج «الدين والدولة»، على المستوى الإقليمي ليعالج قضية العلاقة ما بين الاثنين لخلق ظروف أفضل للشعوب في هذه المنطقة.

أخيراً إسمحوا لي أن أشير إلى قصة النجاح هذه ببعض الأرقام:

- من مكتب القس القديم بمساحة لا تتعدى ٣٥ متراً مربعاً في عام ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٠ متراً مربعاً حالياً، وهذا ليس آخر المشوار بالطبع.

- مكتب قديم وكرسين وطاولة وآلة طباعة قديمة وميزانية لا تتعدى ٣٢٧\$ في عام ١٩٩٥ إلى مشاريع تم تنفيذها وبنائها بما يقارب الـ ٢٥ مليون دولار.
- من موظف ١ في ١٩٩٥ إلى أكثر من ١١٥ حالياً، وهذا العدد لا يشمل الكثير من الفنانين وغيرهم.
- من أقل من ١٠٠٠ زائر ومنتفع عام ١٩٩٥ إلى ما يتعدى سنوياً ٦٠٠٠٠ زائر ومنتفع.
- ومن مؤسسة غير حكومية صغيرة إلى كلية جامعية معتمدة للفنون والثقافة تمنح درجة البكالوريوس في ٦ برامج وثمان درجات دبلوم متوسط بالإضافة إلى برامج الدبلوم المتخصص.

هذا الإنجاز كان لا يمكن تحقيقه إلا بفضل الله أولاً وبرؤية وجهود والنشاط الدؤوب للقس الدكتور متري الراهب.

وبالختام فإن العمل بداية مع دار الندوة الدولية، والآن مع كلية دار الكلمة الجامعية وذراعها المجتمعية ديار مبني على أساس يمكن تلخيصه بيت شعر لمحمود درويش من قصيدة «أنت منذ الآن غيرك»

الهوية هي: ما نورث، لا ما نرث، ما نخترع لا ما نتذكر، الهوية هي فساد المرأة التي يجب أن نكسرهما كلما أعجبنا الصورة.

الملحق رقم ٤

أرغن كنيسة الميلاد

عظة للقس د. متري الراهب

«ولدت في مدينة برلين، عاصمة الإمبراطورية الألمانية عام ١٨٩٢، فلقد جمعت أخشابى من أشجار البلوط المنتشرة في ضواحي المدينة، كما وصنعت صفاراتى في أحد أشهر المصانع الألمانية وتدعى Dinse ... ومنذ اليوم الأول لولادتي كنت كالطفل المدلل، فبالرغم من صغري، وبالرغم من وجود العديد من آلات الأرغن الأكثر كبراً وحجماً وثنناً، إلا أنني نلت قدراً كبيراً من العناية والاهتمام وحظيت باحترام ليس من بعده احترام... وعندما تساءلت عن سر هذا الاهتمام العجيب، قيل لي بأنني إنما صنعت لأعزف في مدينة بيت لحم، مهد المسيح الرب، في كنيسة جديدة، لم تدشن بعد، ولطائفة إنجيلية عربية فلسطينية.. ولكن في الإمبراطورية العثمانية... كان هذا صعباً علي، إذ لم أكن أفقه شيئاً في السياسة، كان عالمي هو برلين، هناك سكن الإمبراطور وليم الثاني، وكانت مدينة برلين تشهد حركة عمران واسعة، حيث شيدت القصور وشقت الشوارع العريضة والطويلة وزرعت على أطرافها الأشجار الباسقة، وظن الجميع أن برلين إنما تشاد لتبقى... وفي صباح أحد الأيام الباردة، إذ بي أفجأ بعمال المصنع وهم يفككونني قطعاً.. قطعاً وإرباً.. إرباً، يضعونني في صناديق خشبية كبيرة، ثم يغلقون علي، ثم يحملونني على ظهورهم، يضعونني من بعدها على عربات تنقلني إلى مكان، قيل لي أنه خط السكة الحديدية... عربات حديدية تسير على قضبان طويلة، لا بقوة إنسان ولا حيوان، بل بقوة الفحم الذي يحرق، فقد

قيل لي بأن هذا هو اختراع العصر، اختراع سيغير وجه التاريخ... آخ... كم كان مزعجا الجلوس في ذلك القطار... وكم كانت صوت صفارته ناشزا لأذني اللتين تعودتا الإيقاع السليم...

قضيت أياما وليالي، قطعت الجبال والسهول لأصل من بعدها إلى مدينة يقال لها البندقية، مدينة شيدت على المياه... هناك تم إنزالي وسمعت الناس من حولي يتكلمون لغة غريبة، لم تكن الألمانية التي اعتدت سماعها... قضيت هناك أياما وليالي، أنتظر وصول ما يسمى بالسفينة، اختراع آخر من اختراعات الإنسان، اختراع قديم ولكن كان قد جدد، فاجتمعت هذه السفن تنقل البضائع من بلاد إلى بلاد... وأخيرا جاء اليوم المنشود، حطت السفينة في البندقية، فحملني الحمالون إلى ظهرها، وسمعت صفارتها تنطلق ومن ثم رحنا نعوم على المياه... وانتابني الخوف الشديد، فقد قيل لي أن دوار البحر مخيف ومزعج وهو كذلك، خاصة عندما كانت الأمواج تضرب بنا يمنا ويسرة، فرحت أصلي، وظننت أنني لن أصل إلى مقصدي بل سأدفن في رحم هذه السفينة الإيطالية... ولكن لطف الله بنا، وسمعت أصوات الركاب وهم يهتفون بأنهم راحوا يرون شواطئ فلسطين، وبأن الفرج قريب، ولكن قبل اليابسة بقليل توقفت السفينة، ولما سألت عن السبب قيل لي أن ميناء يافا كثير الصخور فلا تقدر السفن الكبيرة على الاقتراب منه. وصعد إلى السفينة رجال الجمارك الأتراك، راحوا يفتشون البضائع، وراحوا ينكلون بالركاب طمعا ببخشييش (رشوة نقدية)، وراحوا يتحججون بأن صفارات الأرغن كالبنادق لا يسمح بإدخالها إلى فلسطين... فحتى ذلك الوقت لم يكن قد دخل فلسطين إلا أرغن واحد ووحيد...

على كل حال وبعد أخذ ورد ومد وجزر، وبعد أن دفع القبطان بخشييشا للأتراك، أنزلوني من عن ظهر السفينة وأركبوني في قارب صغير وجاءوا بي إلى ميناء يافا، مدينة صغيرة قيل لي أنها عروس البحر، رأيت باعة السمك منتشرين هنا وهناك، كما رأيت المترجمين ينتظرون أن يستأجرهم أحد للترجمة...

فموظفو الجمارك كانوا من الأتراك العثمانيين، وقيل لي أن لغة البلاد الرسمية هي التركية، أما عامة الشعب فكانوا يتكلمون لغة أخرى وقيل لي أنها العربية... رحت أسترق السمع لأعود أذني على هذه اللغة التي بها سيسبح الله في الكنيسة التي سأنصب فيها.. غير أن هذه اللغة لم تعجبني كثيرا، فقلت في نفسي: لا بد وأن الزمن سيجعلك تتعلمها وتفهما وتذوقها. على كل حال، حملوني مرة أخرى ووضعوني على عربة تجرها الخيول، وراحوا يجوبون البلاد... كان الطقس حارا، لم أعود عليه، ولم تكن صفارتي قد تعودت عليه، شعرت بالزكام... ولكن كانت المناظر خلابة، فسهول خضراء وشمس مشرقة وسماء زرقاء، ولكن كان واضحا أن البلاد فقيرة، فالقرى بائسة تكاد لا ترى فيها عمران. قيل لي أن حكم الأتراك للبلاد لأربعمائة سنة قد أذلها، وأن الضرائب قد أفقرت المزارعين... وبعد مسيرة يوم وصلنا إلى خان يقال له، خان باب الواد... هناك استرحنا، وبتنا الليلة... وفي اليوم التالي عزمنا الرحيل، ولكنني فهمت أن الطريق من باب الواد إلى القدس محفوفة بالمخاطر. فهي أولا طريق جبلي وعرة، والحمولة كبيرة على الخيل، لا نعرف إن كنا سنصل قبل غروب الشمس... وإن لم نصل فقطاع الطرق كثيرون، وكان أصحاب الخيل يخافون أن يباغتهم شيخ يقال له أبو غوش، عرف ببطشه ويقطع الطريق على المسافرين، ينهب ثرواتهم... خاف الجميع علي... وخافوا أن تقطع أخشابني لتستعمل لإشعال نار، لقهوة الشيخ الغريب، وأن تنهب صفارتي وتستخدم لضرب الأسرى والمتهمين... ولكن قيل لي بأن ذلك الشيخ كان لا يتعرض للإنجلييين بسبب هدية كان المطران غوبات الأسقف الإنجيلي الثاني في البلاد المقدسة قد منحه إياها... وفعلا مررنا من قرية أبو غوش بسلام، وصعدنا الجبل الأخير لنرى من بعيد مدينة القدس... سمعتهم يغنون ويرتلون لها في برلين، فظننتها أكبر بكثير، وأجمل بكثير، حتى قبتها كانت باهتة اللون، ولم أرى في فضائها الكثير من الكنائس فتعجبت... وقلت في نفسي... هل من الممكن لبيت لحم أن تكون أكثر بهاء.. وأعلى شأنًا.. وتابعنا المسير...

بعكس انطباعاتي عن القدس، فقد رأيت بيت لحم أكبر مما توقعت... فنحن نرتل دائما عن بيت لحم، القرية الصغيرة. ولكنني فوجئت أن عدد سكانها قد تجاوز الأربعة آلاف، كما وكانت بها حركة عمران رائعة بسبب الإرساليات المسيحية الأوروبية التي انتشرت هنا وهناك على أطراف المدينة...

كما وكانت الكنيسة التي وضعت فيها، كنيسة الميلاذ، من أجمل كنائس البلد بل والمنطقة برمتها، ولكن ما أحنزني هو قلة أعداد الطائفة والتي بلغت الأربعين عضوا فقط بقيادة القس Butcher والذي كان يسمونه بالعربية «اللحام» وهي الترجمة العربية لاسمه.

هنا قاطعت الأرغن قائلا «إن قصتك مثيرة، ولكن أخشى أن مفهومك عن الوقت يختلف عن مفهومنا اليوم، فلقد عشت أنت في زمن كان القس اللحم يعظ بها مدة أربعين دقيقة دون أن يصيب الطائفة ملل أو كلل... كما وكان الحكواتي يجمع الناس يقص عليهم قصص ألف ليلة وليلة لساعات طويلة، دون أن يبدوا حراكا...

ولكن في عصر التلفاز الوضع تغير... فالعظة أصبحت قصيرة تدوم لعشر دقائق فقط، فإذا أكملت قصتك على الوقع ذاته، أخشى أن تظن الطائفة بأن قصتك ستصبح كالمسلسلات المكسيكية، لا من حلقتين بل من مائة حلقة وحلقة، فهل بإمكانك الاختصار...»

قال: «وماذا تريد أن تعرف عني...»

قلت: «خبرني عن رحلتك الأخيرة إلى الولايات المتحدة...»

فلقد ولدت في أوروبا، ونشأت في آسيا، وقمت برحلة إلى أمريكا ولا أظن أن الكثير من أبناء جلدتك قد مروا بالتجربة ذاتها...»

قال: «بالصواب نطقت... لقد غيرت تلك الرحلة حياتي برمتها...

لقد كانت حياتي صعبة... وعشت بمرض مزمن في رئتي، بل كان عندي

مشاكل في التنفس، ففي القديم.. القديم كان الشباب يصعدون إلي لينفخوا يدويا في رئتي الهواء كي أستطيع التنفس والصفير، ولكن ومع مرور الوقت تراجعت حالتي هذه، فأتوا لي بطبيب ألماني، قال أن هناك محركا كهربائيا لا بد وأن يربط بي فيضخ الهواء آليا إلى رئتي... فربطوني به... وتحسنت حالتي كثيرا، إلا أنني عدت وانعكست وصار الجمهور يلاحظ تدهورا في حالتي الصحية، فقد خشن صوتي بل ومع مرور الزمن أصبح صوت الشهيق والزفير أعلى عندي من صوت الترينيم، فقلت في نفسي... ما الفائدة، لقد خدمت هذه الطائفة لمائة عام، فاركن واسترح ونم في أمان...»

وهكذا صار، فلقد انزويت على نفسي وانطويت على ذاتي وعشت وحيدا، لم يزرني فيها أحد بل راح الغبار يتكاثف علي رويدا.. رويدا، وقلت في نفسي لا بد أن يأتي يوم يظن القس بأنك قد أصبحت عبئا على الكنيسة ومصدر إزعاج فيتخلص منك فتنتهي قصتك في المزبلة...

ولكن وفي أحد الأيام زارني طبيب أمريكي قال بأن هناك أملا في شفائي ولكن الأمر مكلف... ورزقني الله بالعديد من المتبرعين الذين جعلوا مما تيسر لهم لينفقوا على عملية قيل لي أنها ستعيد الشباب لي... وفعلا ففي شهر شباط من عام ٢٠٠٠م جاء الطبيب وشرحني إلى قطع، ودفنت في صناديق نقلت بواسطة سفن حديثة ليست كتلك التي جئت بها فلسطين، فنقلت من ميناء حيفا إلى ميناء بوسطن، ومن ثم بناقلات سريعة وعملاقة إلى ولاية مينيسوتا حيث وضعت في مزرعة بل معمل وهناك أجريت لي على يدي جراح يدعى رولاند من عائلة روتس، عملية جراحية استمرت زهاء ستة أشهر، حيث أصلحت صفاراتي القديمة الخربة، وزرعت لي أعضاء جديدة كثيرة، ونلت حياة جديدة... وأصبحت في ليلة وضحاها، خلايا جسدي تعمل بالتقنية الرقمية، وهي تقنية القرن الحادي والعشرين...

جرى دم جديد في عروقي وكان الله قد كتب لي أن أعيش قرنا آخر...»

وهنا رأى الأرعن في عيني فرحة ممزوجة بالحزن، فقال لي: «أنا أفهمك... فأنت تفرح معي بأنني قد تجددت، كما يفرح الأب مع ابنه الضال الذي كان ميتا فعاش، وكان منزويا فانتعش... ولكنني أفهم حزنك... ربما تود لو كان بإمكان الطب البشري أن يزرع في الإنسان خلايا رقمية فيعيد له شبابه...»

بل لا تتصور يا بني ما يدور أحيانا كثيرة في مخيلتي... دوري صعب ودعوتي ليست بالسهلة... أن أعزف لطفل وليد جديد يوم معموديته «يا رب طفل قد أتاك...» وأن أعزف له يوم زواجه «أحضر هنا يا ربنا...» ومن ثم أعزف له يوم دفنه «أمكث معي يا سيدي...».

ليس سهلا أن تتعود على أناس، تحبهم، ومن ثم تفارقهم... ولكن هذه سنة الحياة، وأعزى نفسي بالقول بأن عزفي وترنيمي إنما يريحان النفس ويدخلان إليها السرور...».

قلت: «لله درك... فنحن الآن على أبواب عام جديد، وقد رحت تتحدث عن الموت...».

قال: «من لا يفهم الموت، لا يعرف الحياة...».

قلت: «حدثني عن أصدقائك.. هل كان لك أصدقاء كثير...».

وهنا صمت الأرعن قليلا، أخذ نفسا عميقا وكأنه راح يرجع بمخيلته إلى حياته القديمة ليتذكر، ومن ثم قال لي:

«لقد منحني الله أصدقاء كثيرين، أخلصوا لي كل الإخلاص».

بل إن حياتي من دونهم هي هباء ليس إلا... قلت: «أنا أعرف أن الصداقة أمر شخصي، قد لا تريد أن تتحدث عنه علانية.» قال: «لا بل دعني أحدثك باختصار عن بعض اللحظات التي لا تنسى لي مع أصدقائي...»

فهنا ومع صوت صفاراتي ثم نظم العديد من الترانيم التي ترنمونها دون أن تعرفوا تاريخها... أسألوني أحدثكم...»

فلا أنسى مثلا الفرحة التي غمرت المرحوم القس داود قربان عندما نظم ترنيمة المشهورة:

«يا نفس قومي بالعجل ها قد بدت شمس الصباح

خلي التواني والكسل واسعي إلى رب الصلاح»

لقد صرخ وهو يعزف على صفاراتي وجدتها... وجدتها، وكأن المرحوم يزورني كل يوم في الصباح الباكر، وكأن اليوم لا يحلو له بعيدا عن أنفاسي... بل وهل تعرف أن هذا القس بعينه كان قد نظم في هذه الكنيسة وعلى أنغام ترنيمة المشهورة:

«كنت أسيرا في الأنام والعدل قاض بالقصاص

ففكني فادي الأنام وقال لي نلت الخلاص...»

وينقصني الوقت كي أحدثك عن ترانيم القس سعيد عبود، ووديع خوري وإبراهيم مطر ووديع عطا، وإن نسيت فلن أنسى المرحوم توفيق سرور خاصة بجوقته الرنانة في أسبوع الآلام، ولا جوقه أبواقه الرخيمة صباح عيد القيامة. وماذا أقول عن المرحوم فهمي الهواش وكرستا نصرالله، أو عن الأستاذ ميخائيل زبانة أو فهد أبو غزالة، أما صديقي الحالي والأكثر إخلاصاً فهو الأستاذ جورج أبو دية».

قلت: «لله درك يا أرعن.. قصتك جميلة تشد لها النفوس، ولكن وقد أوشكت العظة على الانتهاء، هل من نصيحة في صباح هذا اليوم الأول من السنة الجديدة، هل من نصيحة تسديها إلينا؟».

لم يتوان الأرعن، بل نظر إلي متفحفا إن كنت سأعمل بنصيحته، وقال لي من دون تردد:

«الحياة غنوة... الحياة غنوة، قد تملأها بالبكاء والعيول، وأعرف أنكم معشر القوم الفلسطينيين تحبون البكاء على الأطلال، وكما يقول المثل الدارج، «لا يعجبكم عجب ولا صيام في رجب». ولكن الحياة غنوة «بإمكانك أن تجعل منها كابوسا... صراعات زوجية في الصباح والمساء، مشاحنات ومخاصمات مع الأهل والأصدقاء، كراهية وبغضاء، عبء وحرب وصدام... ولكن الحياة غنوة» تستطيع أن تجعل أنغامها حلوة، أنت العازف وأنت الناظم، وأنت المايسترو.

أنت تتحكم بزمام الأمور... إذا لم يعجبك اللحن القديم، إجلس وأكتب لحنًا جديدًا...
ودعني أنهي بنصيحة ثانية:

أكثر من الترنيم... فالترنيم يجدد قوة الإنسان، إذا كنت فرحًا فترنم... وإن كنت مغرمًا فستصفر... ولكن إن كنت حزينا، وحيدا، مريضا، خائفا، حائرا، محتاجا، تعبًا فترنم أيضا... فالترنيم هو سر الحياة... لذلك فالأبدية سنقضيتها بالترنيم لا تجعل شيئا في الدنيا يسلبك ترنيمك... بل اجعل من حياتك ترنيمًا شذية.»

وتركته وكلماته تظن في أذني...
«لا تسمح بأن يسلبك أحد ترنيمتك...».

القسس الذين خدموا في كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم والحقبات الزمنية التي خدموا بها:

١٨٨٤ - ١٨٦٠	صموئيل مولر Samuel Mueller
١٨٨٨ - ١٨٨٤	لودفيغ شنلر Ludwig Schneller
١٨٩٠ - ١٨٨٨	إيمانويل مولر Emmanuel Mueller
١٩٠٣ - ١٨٩٠	إيمانويل بوتشر Immanuel Boettcher
١٩٤٧ - ١٨٩٩	سعيد عبود Said Abboud
١٩٠٤ - ١٩٠٣	البرت تريبتو Albert Treptow
١٩٠٥ - ١٩٠٤	ريتشيرد فيلدهاهن Richard Feldhahn
١٩١١ - ١٩٠٦	أرنيسست ألبرس Ernst Albers
١٩١٣ - ١٩١١	هينريش باير Heinrich Bayer
١٩٣٩ - ١٩٢٦	جيرهارد جينتزش Gerhard Jentsch
١٩٦٤ - ١٩٤٧	إلياس شحادة Elias Shehadeh
١٩٨٦ - ١٩٦٤	نعيم نصار Naim Nassar
٢٠١٧ - ١٩٨٧	مترى الراهب Mitri Raheb

